جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجـــلة العلميـــة

سبل الوقاية من الوقوع في الهزائم
دراسة تفسيرية
في ضوء سورة الأنفال

إعداد

د/ العزي محمد فتحي عيد

قسم التفسير وعلوم القرآن الجامعة الأمريكية المفتوحة

(العدد الحادي والعشرون إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م)

سبل الوقاية من الوقوع في الهزائم دراسة تفسيرية في ضوء سورة الأنفال

العزي محمد فتحي عيد
قسم التفسير وعلوم القرآن الجامعة الأمريكية المفتوحة، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Alezzieid44@gmail.com

ملخص البحث:
يهدف البحث إلى التعريف بالوسائل الواقية من الوقوع في الهزيمة في ضوء سورة الأنفال، وبيان أهمية الحاجة إلى تطبيق هذه الوسائل، وإيضاح أسماء سورة الأنفال، وبيان فضلها، ونزولها، وعدد آياتها، ومناسبة أولها لآخرها، وإبراز ما اختصت به سورة الأنفال من بين سائر سور القرآن الكريم، وتحديد الموضوعات الرئيسية للسورة، وقد اتبع الباحث المنهج: التحليلي الاستنباطي.
وتأتي أهمية اختيار الموضوع في تعلقه بالقرآن الكريم، وأن الوسائل الواقية لابد أن تكون من خلال آيات القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأهمية المرحلة والمناسبة التي نزلت فيها سورة الأنفال وهي (غزوة بدر) والتي تمثل المرحلة الأولى من مراحل التشريع الإسلامي وأهمها تشريع القتال المؤدي إلى النصر بإذن الله تعالى، وأن الأصل في الإسلام هو السلم، وأن الإسلام فتح قلوب العباد بعقيدته الصافية وأخلاقه النبيلة ومعاملاته الشريفة وأحكامه العادلة في الحرب والسلم، وأن القتال في الإسلام إنما هو ضرورة واستثناء، وهو كره لا يتمناه مسلم..
واحتوت الدراسة على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، تطرق التمهيد إلى تعريف موجز بمصطلحات البحث، وفصّل المبحث الأول التعريف بسورة الأنفال، وذكر المبحث الثاني الوسائل الواقية من الوقوع في الهزيمة في ضوء سورة الأنفال، وخلصت الدراسة إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج ومنها: أولا: أن الموضوع الكلي والمحور الرئيسي الذي تدور عليه موضوعات سورة الأنفال هو: الجهاد في سبيل الله، وأن أبرز الموضوعات التي عالجتها السورة تمثلت في ثلاث موضوعات رئيسية وهي: الحديث عن أبرز وأهم أحداث غزوة بدر، وضحت وبيّنت أسباب النصر والهزيمة، بيّنت علاقة المسلمين بغيرهم وببعضهم في السلم والحرب، ثانيًا: أن هناك تناسقًا واضحًا بين هذه الموضوعات الثلاث، فهي كلها تمضي في سياق متآلف، وبأسلوب متناسق ومترابط، فكأنها بنيان متصل ومتآلف أشد اتصال وأقوى تآلف.

الكلمات المفتاحية: الوسائل، الواقية، الهزيمة، السورة، الأنفال.

Al-Wasa'il Al-Waqiyah Min Al-Wuqu Fi Al-Hazimah Fi Daw Surat Al-Anfal.

Azzi Mohamed Fathi Eid
Department of Tafsir and Quranic Sciences, Open American University, Egypt.
Email: Alezzieid44@gmail.com

Abstract:

This research aims to introduce protective measures against defeat in light of Surah Al-Anfal, to clarify the importance of applying these measures, and to explain the names of Surah Al-Anfal, its virtues, its revelation, the number of its verses, and the connection between its beginning and end. It also highlights the unique aspects of Surah Al-Anfal among other chapters of the Quran and identifies its main themes. The researcher adopted an analytical and deductive methodology.

The importance of this topic lies in its connection to the Quran, as the protective measures must be derived from the verses of the Quran and the teachings of the Prophet Muhammad (peace be upon him). The importance of the context in which Surah Al-Anfal was revealed—during the Battle of Badr—is crucial. This battle represents the first stage of Islamic legislation, especially the legislation of fighting that leads to victory by God's permission. Islam, at its core, is a religion of peace, and it opened the hearts of people through its pure faith, noble morals, righteous dealings, and just rulings in both war and peace. Fighting in Islam is a necessity and an exception, one that no Muslim desires.

The study includes an introduction, a preface, two main sections, and a conclusion. The preface provides a brief introduction to the key terms of the research. The first section introduces Surah Al-Anfal, while the second section discusses the protective measures against defeat in light of Surah Al-Anfal. The conclusion summarizes the key findings, including:

1. **The overall theme and main focus of Surah Al-Anfal is Jihad in the way of God. The prominent topics covered in the surah are: an overview of the important events of the Battle of Badr, the causes of victory and defeat, and the relationship between Muslims and others in peace and war.**
2. **There is clear harmony between these three topics, all of which flow in a cohesive manner, with a style that is connected and unified, like a solid and integrated structure.**

Keywords: Wasa'il, Waqiyah, Hazimah, Surah, Al-Anfal.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

و بعد: –

فإن أشرف عمل يقوم به المرء ما كان في خدمة كتاب الله عز وجل تعلمًا وتعليمًا، وتدبرًا وتأملًا وتفهمًا، وبحثًا في علومه ودرره، واستنباطًا واستخراجًا لأحكامه وحِكمه، فهو بحر لا يُدرك غوره، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنفد دُرره، ولا تنتهي معارفه.

جعله الله دستورا للمؤمنين، إليه يتحاكمون، وبأحكامه يستظلون، ليسعدوا في دنياهم وأخراهم .

ومن ثم كان مناط سعادة المسلم في معاشه ومعاده فهم هذا الكتاب المقدس وما اشتمل عليه من أحكام، وهذا الفهم لا يتأتى إلا بمعرفة تفسير آياته، والوقوف على مضامينه ومراميه، ومقاصده ونواحيه، فهو نعمة جليلة امتن الله به على الأمة الإسلامية، وجعله غايةَ شرفها وفخارها فقال تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) سورة الزخرف، الآية: ٤٤. أي: "(شرف) كما حكاه الإمام ابن كثير"[١].

ولقد ظل المسلمون الأوائل علي هدي من تعاليم القرآن، والعمل بها، فكانوا من أجل ذلك أعزاء لا يقبلون الذل.. أقوياء لا يعرفون الضعف، حتى دانت لهم الشعوب، وخضعت لهم الدول. [٢]

وقد وعد الله تعالي عباده المؤمنين بالنصر والتمكين – ما أقاموا شريعته ونصروا دينهُ– وتكفل سبحانه أن يُظهر دينه فقال جل جلاله :

---

(١) الإمام الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط١، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٥٤٣٩/١٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٤٧/٣٥، رقم الحديث ٢١٢٢٣. والحاكم في المستدرك،

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) سورة التوبة، الآية: ٣٣، والصف، الآية: ٩.

وبشر الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية بالنصر والتمكين، فعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

" بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ"(١).

ومع هذه الإشارات، وتلك البشارات للأمة الإسلامية بالنصر والظفر يجد المسلم اليوم في واقع حياته المعيشية ما قد يتنافي في ظاهره مع هذه البشارات إذ تعيش الأمة اليوم مرحلةَ جراحٍ وهموم ومشاق لا حصر لها .

وهذا الأمر في الحقيقة مقدمة ومخاض تمر به الإمة الإسلامية في سبيل ميلاد غد مشرق موعودة به وهو النصر المبين من الله تعالي علي كافة الأمم .

ولا ينبغي لمسلم أن يشك في تحقق هذا الوعد الإلهي المسطر في قوله "كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" المجادلة ٢١ .

ونظرا لاختصاص سورة الأنفال من بين السورة القرآنية بمزيد العناية بأمر الجهاد ووسائل النصر والتمكين فقد استعنت لله تعالى في كتابة هذا البحث الذي يعنى بإبراز وسائل الوقاية من الهزائم كما تصورها سورة الأنفال مستعينًا بالله عز وجل بعد الاستخارة والاستشارة فجاء البحث تحت عنوان : "

سبل الوقاية من الوقوع في الهزائم
دراسة تفسيرية
في ضوء سورة الأنفال

أسباب اختيار الموضوع:

تعددت دوافع اختياري لهذا الموضوع ويمكن إجمالها في الآتي :

أولًا : تعلق الموضوع بالقرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين، ودستور المسلمين .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٤٧/٣٥، رقم الحديث ٢١٢٢٣. والحاكم في المستدرك، ٣٤٦/٤، رقم الحديث ٧٨٦. وصححه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٢٠/١٠، رواه أحمد وابنه من طرق ورجال أحمد رجال الصحيح.

ثانياً : مناسبة الموضوع لما تمر به الأمة الإسلامية في حاضرها من نكبات وهزائم تستدعي مزيدا من التأمل في سيرة الأقدمين وكيفية تغلبهم عليها .

ثالثًا : أهمية سورة الأنفال بوصفها من السورة المدنية التي تضمنت الكثير من التشريعات السماوية، وفي مقدمتها تشريع الجهاد ومحاربة الكفار، وتقوية الروح العقدية لدي المسلمين

رابعًا: الإسلام دين يدعو إلى السلم، وأن القتال إنما شرع فيه للضرورة ، فهو استثناء، شرع لأهداف نبيلة ؛ وأهمها إقرار حرية العقدية، ومنع الفتنة بسبب الدين.

خامسا : اشتمال السورة علي سبل ووسائل الوقاية من الوقوع في الهزائم والتي تتمثل في الإتباع التام والامتثال المطلق لهدي الله تعالي وهدي رسوله الكريم .

سادسا : عدم وجود دراسة متخصصة عنيت بالوقوف علي دراسة سبل الوقاية من الهزائم وفق معطيات سورة الأنفال.

مشكلة البحث :

لقد شغلني التفكير في الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وسط هذه الموجات المتتابعة من الضعف والانكسار، حتى تداعت عليها الأمم تنهشها من كل صوب وتلتهما من كل حدب فكانت فكرة هذا الموضوع هادفة للبحث عن عدد من الإشكاليات من أهمها:

أولا : إبراز أهم ما اختصت به سورة الأنفال من بين سائر سور القرآن الكريم، وبيان الموضوعات الرئيسية التي تضمنتها ؟

ثانيا : بيان قيمة سورة الأنفال ضمن السور القرآنية وأسمائها وما جاء في فضلها .

ثالثا : استخراج أهم وسائل الوقاية من الهزائم وفق ما تضمنته السورة من أحداث وأحكام تشريعية .

أهداف البحث :

أردت من خلال بحثي هذا تحقيق عدد من الأهداف يأتي في مقدمتها:

١) التعريف بالدراسات والأبحاث العلمية التي دارت حول سورة الأنفال، مع دراسة لأهم الموضوعات الرئيسية التي تناولتها السورة وإبراز كيفية الاستفادة من تطبيقها في واقع الناس والحياة.

٢) تحديد وإبراز المقصود بالوسائل الواقية من الوقوع في الهزيمة، وبيان عددها

وطرق الاستفادة منها من خلال الجانب التفسيري لسورة الأنفال .

٣) المساهمة في اقتلاع واجتثاث اليأس، الذي سرى أو كاد في قلوب أبناء هذه الأمة عن طريق بث روح الأمل في نفوسهم والعودة بهم إلى كتاب الله تعالى كمنهج حياة بوصفه السبيل الوحيد لعزهم وتمكينهم .

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي عنيت بسورة الأنفال، فقد نالت هذه السورة الكريمة عناية واهتماما كبيرا من قبل أهل التفسير قديمًا وحديثًا، فعنوا بتفسيرها وتجلية موضوعاتها، وما تضمنته من أحكام وآداب وتوجيهات وهدايات، وهي دراسات متعددة يصعب حصرها وتعدادها في هذا المقام.

ويأتي تميز وتفرد هذه الدراسة من جهة اقتصارها علي دراسة جانب من الجوانب التي لم يتطرق إليه الباحثون فيما أعلم، وهو كشف وإظهار الوسائل الواقية من الوقوع في الهزيمة في ضوء سورة الأنفال.

ومن الأبحاث التي تناولت سورة الأنفال ما يلي :

١- سورة الأنفال عرض وتفسير تأليف: مصطفى زيد المصري.

٢- من هدي سورة الأنفال، تأليف: محمد أمين المصري.

٣- في ظلال سورة الأنفال، تأليف: أبو بكر الجزائري.

٤- تفسير سورة الأنفال، تأليف: الغزالي خليل عيد.

٥- أسباب النصر في سورة الأنفال لعبد الحميد بن محمود طهماز.

٦- النبأ الصادق في تفسير سورة الأنفال لمحمد الطيب النجار المصري

٧- تفسير سورة الأنفال للدكتور / محمد عبد القادر أبي فارس.

ومن الرسائل التي جاءت حول هذه السورة ما يلي:

١- الأحكام الفقهية في سورة الأنفال: للباحث: خالد صدام عبد المحسن جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية – ماجستير- وكانت المناقشة في سنة ١٩٩٠م، وقد قامت دراسة الباحث على الأحكام الفقهية في سورة الأنفال، وما يتعلق باختلاف الفقهاء حول تلك الأحكام، ولم تتطرق الرسالة إلى الحديث عن الآيات التي تتحدث عن النصر في السورة.

٢- الأهداف الجهادية في سورتي الأنفال والتوبة: للباحث: سيد حسن محجوب –

ماجستير، جامعة أم درمان – السودان، ونوقشت الرسالة في عام ١٩٩٧م. وقد اهتم الباحث بذكر الأهداف الجهادية في سورتي الأنفال والتوبة، وقد سرد مقومات كل هدف وعلاقته بالجهاد، ومقوماته، وكيفية تحقيقه، وبيان عوائقه وقد ركز الباحث في موضوع الرسالة على الجهاد في سبيل الإله وأهميته وسرد الأهداف المستنبطة من سورتي الأنفال والتوبة.

٣- الجهاد كما تعرضه سورة الأنفال: للباحث: محمد الحاج سائي فطاني – ماجستير- كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- قسم القرآن وعلومه، وقد نوقشت الرسالة عام ١٤٠١هـ، وقد تعرض لموضوع الجهاد من خلال السورة، ودراسته دراسة موضوعية وقد أسهب الباحث في موضوع الجهاد، وما يتدرج تحته، ولم يتطرق الباحث إلى موضوع (آيات النصر في الرسالة).

٤- التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال: للباحث: أحمد تالي إدريس، جامعة أم القرى، كلية التربية – قسم التربية الإسلامية المقارنة – ماجستير، ونوقشت هذه الرسالة عام ١٤١٠هـ، وهذه الرسالة مضمونها ظاهر من عنوانها فهي تربوية خالصة تطرقت للتربية الجهادية في الإسلام عموما، وجعلت سورة الأنفال مستنبطا لها من خلال التحدث عن غزوة بدر الكبرى، وما جرى فيه من حوادث ووقائع، واستخراج الإضاءات التربوية من خلال ذلك، وجعلت لذلك قواعد تربوية من خلال هذه السورة، ولم تطرق إلى الحديث عن (آيات النصر).

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو: المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستنباط للوسائل المستلهمة من السورة لتجنب الوقوع في الهزائم والأخذ بأسباب النصر .

وقد أتبعت في كتابتي لهذا البحث الخطوات التالية:

١- تصدير كل مبحث بالآية أو الآيات الدالة على الأسلوب أو الوسيلة الواقية من الوقوع في الهزيمة، موضحًا وجه الاستدلال بالآية، مؤيدًا ذلك بكلام المفسرين، مع إبراز ما تضمنته الآية من أسرار لغوية وبلاغية ونكات إن وُجد .

٢- عزو الآيات في صلب البحث إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية. وتخريج الأحاديث والآثار من مصادرها مع الحكم عليها.

٣- توثيق أقوال أهل العلم من مصادرها، والتعريف بالأعلام غير المشهورين تعريفًا

مختصرًا يفي بالمقصود.

٤- ذكر النتائج والتوصيات في الخاتمة وتذييل البحث بفهرس لأهم المصادر والمراجع

خطة البحث ومكوناته:

اقتضت طبيعة البحث أن يصدر في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، ثم خاتمة، وفهرس لأهم المصادر والمراجع .

ففي المقدمة: حديث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهداف الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته .

أما التمهيد : فقد عقدته للحديث عن تعريف بمصطلحات البحث: ويحتوي علي :

أولا : تعريف مصطلحي " الوسيلة والهزيمة " في اللغة والاصطلاح .

ثانيا : تعريف لفظتي " السورة، والأنفال " في اللغة والاصطلاح .

المبحث الأول: " سورة الأنفال " نبذة تعريفية ": وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اسم السورة وعدد آياتها، وفضلها.

المطلب الثاني: نوع السورة ومناسبتها لما قبلها، وتاريخ نزولها.

المطلب الثالث: محور السورة وأبرز محتوياتها.

المبحث الثاني: وسائل الوقاية من الوقوع في الهزيمة في ضوء سورة الأنفال ، وفيه: ست عشرة وسيلة:

الوسيلة الأولى : تقوى الله عز وجل والإيمان به عز وجل.

الوسيلة الثانية: إصلاح ذات البين.

الوسيلة الثالثة: طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

الوسيلة الرابعة: عدم التولي يوم الزحف.

الوسيلة الخامسة: اجتناب المعاصي.

الوسيلة السادسة: شكر الله تعالى.

الوسيلة السابعة: الثبات عند اللقاء والصبر.

الوسيلة الثامنة: ذكر الله كثيرًا، والدعاء.

الوسيلة التاسعة: عدم التنازع والاختلاف.

الوسيلة العاشرة: عدم البطر والكبر والرياء.

الوسيلة الحادية عشرة: عدم الخيانة.

الوسيلة الثانية عشرة: إعداد العدة بقدر الاستطاعة.

الوسيلة الثالثة عشرة: التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب.

الوسيلة الرابعة عشرة: الإنفاق في سبيل الله تعالى.

الوسيلة الخامسة عشرة: تحريض المؤمنين على القتال.

الوسيلة السادسة عشرة: نية الخير والإخلاص لله تعالى.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث مشفوعة بأهم توصياته.

هذا ...

والله أسأل أن أكون قد وُفّقت في الإسهام في خدمة كتاب الله عزّ وجـل،، وإبـراز شيء من هداياته من خلال الكشف عن بعض الوسائل الواقية من الهزيمة، كما تصورها سورة الأنفال، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

توطئة :

نصر الله للمسلمين على أعدائهم من الكفار المحاربين لهم، وعدُ حقٍّ، وقولُ صدق، وعد الله تعالى به المؤمنين، وأخبرهم أنه قريب، وإنما يؤخره تعالى لحكَم جليلة.

وهذا النصر الذي وعد به الله تعالي عباده المؤمنين ليس محصورًا في انتصار المعارك فقط ؛ وإنما قد يكون النصر نصر العزة والتمكين في الأرض، وقد يكون بإهلاك الكافرين والمكذبين، ونجاة رسل الله وعباده المؤمنين، وقد يكون بحماية الله عز وجل لعباده المؤمنين من كيد الكافرين، وقد يكون نصر الحجة والبرهان، وكل هذه الصور وغيرها داخلة في وعد الله سبحانه وتعالى بنصر عباده المؤمنين .

ولقد سنَّ الله – تعالى – النظر في سِيَر الأوَّلين والآخرين ؛ لمعرفة أسباب الظفر والتمكين، وأسباب الفشل والتراجع . ولا تنهزم أمة أو تزول إلا حين تتحول نفسياتها واهتماماتها، فتنحدر من الأعلى إلى الأدنى، فهذه سنة الله –عز وجل– في عباده، ولن تجد لسنة الله تحويلًا.

كما تؤكد آيات القرآن وأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنَّ سبب الهزائم ينشأ من داخل الأمة بما يسمي بـ(الوهن الحضاري)، الناتج من الاستسلام للأعداء، والكفّ عن منازلتهم..

والمتتبع لسنة الله –عز وجل– في خلقه سيجد النتيجة واضحة ساطعة مطردة، ولقد بينت لنا سورة الأنفال نموذجًا من هذه السنة لفريقين : فريق مؤمن منتصر، وفريق كافر منهزم . فما هي العوامل الواقية من الهزيمة في ضوء سورة الأنفال؟

وسأتناول خلال هذا البحث الحديث عن سورة الأنفال خصوصًا الآيات المتعلقة بالنصر، ووسائل تحقيقه ، وقد قصرتُ البحث في هذه السورة علي العوامل الواقية من الهزيمة في ضوء هذه السورة المباركة .

أولا : **تعريف مصطلحي " الوسيلة والهزيمة " في اللغة والاصطلاح** .

أ ـ مصطلح "الوسيلة "

ـ الوسيلة لغة :

لفظ الوسيلة في اللغة مفردة بوزن فعيلة ويجمع علي وسائل، ففي الصحاح : "

الوَسيلَةُ: ما يتقرَّب به إلى الغير، والجمع الوَسيلُ والوَسائلُ. وقال ابن فارس في مقاييسه : " (وَسَلَ) الواو والسين واللام : كلمتان متباينتان جدًّا. الأولى : الرَّغبةُ والطلب. يقال : وَسَلَ : إذا رغِب. والواسِل: الراغب إلى الله – عز وجل. وهو في قول لبيد: * بلى كلّ ذي دينٍ إلى اللهِ واسلُ * ومن ذلك القياس الوسيلة.

والأُخرى السَّرِقَة. يقال: أَخَذَ إِبِلَه توَسُّلًا. [1]وقال الراغبُ الأصفهانِيِّ: الوسيلةُ: التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخصُّ من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة، قال – تعالى – [وَابتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ]. [سورة المائدة، الآية ٣٥].

قَالَ لَبِيدٌ:

أَرى الناسَ لَا يَدْرونَ مَا قَدْرُ أَمرِهم ∴ بَلى كلُّ ذِي رَأْيٍ إِلى اللَّهِ وَاسِلُ

وتَوَسَّلَ إليه بوَسِيلَةٍ إذا تقرَّب إليه بعَمَل.[2] وَفِي حَدِيثِ الأَذان: (اللهمَّ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَة)؛ هِيَ فِي الأَصل مَا يُتَوَصَّل بِهِ إِلى الشَّيْءِ ويُتَقَرَّب بِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ القُرْبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: هِيَ الشفاعةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: هِيَ مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ. [3]

- الوسيلة اصطلاحا : لا يبتعد تعريف لفظ الوسيلة في الاصطلاح عن معناه في اللغة : فقد عرف ابن عباس رضي الله عنهما : الوسيلة بأنها : القربة، وقال قتادة في تفسير القربة: أي تقربوا إلى طاعته بطاعته والعمل بما يرضيه، وهكذا. فإن كل ما أمر به الشرع من الواجبات والمستحبات فهو توسل شرعي ووسيلة شرعية.(٤)• وأُطلقت الوسيلة في الحديث على منزلة في الجنة . قال النبي عليه الصلاة والسلام: (ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) [5]

ب - الهزيمة لغةً : "

الهزيمة في اللغة : فعيلة من الجذر اللغوي " هزم " الذي يدل علي الغمز باليد فأصل

---

(١) [معجم مقاييس اللغة ٦/١١٠].

(٢) لسان العرب، ١١/ ٧٢٤، مادة (وسل).

(٣) لسان العرب، ١١/ ٧٢٥، مادة (وسل).

(٤) التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي ص ٢٠.

(٥) الحديث أخرجه مسلم، صحيح مسلم ١/ ٢٨٨.

الهزم: غمز الشيء اليابس حتى يتحطم" [١] "وهزم الأرض: أي كسر وجهها حتى فاضت بالماء. وتهَّزمَ السقاء إذا يبس فتكسر.[٢] "وهزيمة القتال: انكسار القوم" [٣]"وهزمت القوم: صرفتهم" [٤] "وانهزم الجيش: أي تصدع جمعه وتفرق وهرب" [٥]

يتضح من خلال هذا التحقيق اللغوي للفعل هزم، أن الهزيمة من حيث المبدأ تعني الانكسار أمام العدو، وهذا المعنى يشتمل على جملة من المعاني ذات علاقة واضحة بالهزيمة مثل: التحطيم، التصدع، التفرق، الهروب، والصرف من قبل العدو، فهذه المعاني لا شك أنها تمثل عوامل وأسبابًا وصورًا من صور الهزيمة، فمن أسباب الهزيمة التفرق والهروب، ومن صور الهزيمة الانكسار أمام العدو، وتحطم القوة أمامه.

- **الهزيمة في الاصطلاح**: يعني بها "انكسار إرادة النفس أمام حدث معين، أو واقع معين، أو فكر معين، بحيث لا تقوى على مجابهته، فهي تستسلم له دون تفكير في التخلص منه أو مواجهته" [٦]

وفي المعجم العسكري: تعني: "خسارة معركة أو حرب، أي الفشل في بلوغ أهداف الأمن القومي المعلنة نتيجة لتدخل العدو، أو الفشل في حماية الأمن القومي في وجه أعمال العدو.[٧]

---

(١) الأصفهاني، المفردات، ص ٨٤٢.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٦١١/٢ -٦٠٨)
(٣) الهنائي، أبو الحسن علي بن الحسن المشهور بكراع (ت ٣١٠ ه)، المنجد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي)، تحقيق أحمد مختار، وصاحي عبد الباقي، ط ١٩٨٨،٢ م، عالم الكتب، القاهرة، ص ٣٥٥.
(٤) ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (ت ٥١٥ ه)، كتاب الأفعال، عالم الكتب، ط ١٤٠٣،١ ه- ١٩٨٣ م، ٣/٣٥١.
(٥) الكرمي، حسن سعيد، الهادي إلى لغة العرب (قاموس عربي – غربي)، دار لبنان للطباعة والنشر، ط ١٤١٢،١ ه-) ٤١١/٤،١٩٩٢.
(٦) العمر، ناصر بن سليمان (المشرف على موقع المسلم على الشبكة العالمية)، التعريف جاء ضمن حلقة حوار بين مجموعة من الباحثين على موقع: -http://www.albayan magazine.com/Dialoyges/15.htm..
(٧) العزيزي، هاني عبد الرحيم (مقدم باحث جغرافي تتقاعد)، معجم مصطلحات الجغرافيا العسكرية والسياسية، مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٦،١ ه- ٢٠٠٥ م، ص ١٠٣

الهزيمة في القرآن الكريم

ورد الفعل " هزم " باشتقاقات مختلفة ثلاث مرات فقط في نصوص آيات القرآن الكريم [١]، وهذه الاشتقاقات المختلفة تدور حول معنى واحد وهو : الانكسار وإلحاق الهزيمة بالكفار، وهذه النصوص القرآنية هي:

١- قوله تعالى مخبرًا عن جيش طالوت المؤمن حيث هزم جيش جالوت الكافر ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ سورة البقرة الآية ٢٥١. أي "غلبوهم بتمكين الله" [٢]

٢- قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ سورة القمر الآية ٤٥. أي "سيتفرق جمعهم ويغلبون" [٣]

وقد روى البخاري بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر: " اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع، فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر" [٤]

٣- ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ سورة ص الآية ١١. أي أن "جند الكفار مهزوم مكسور عما قريب، فلا تحزن لعزتهم وشقاقهم، فإني أسلب عزهم، أهزم جمعهم، وقد وقع ذلك يوم بدر وما بعده من المواطن" [٥]

ثانيا : تعريف لفظتي " السورة، والأنفال " في اللغة والاصطلاح .

أ ـ تعريف السورة لغة واصطلاحا

ـ السورة لغة.

السورة : مفرد جمعها سورة، والسورة : واحدة سُور القرآن، وهي إما أن تكون مهموزة أو غير مهموزة، فمن همزها جعلها من أسأرت أي أفضلت من السؤر وهو : ما بقي من الشراب في الإناء، وتكون سميت سورة كأنها قطعة من القرآن . ففي لسان

(١) انظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٧٣.
(٢) ابو حيان، البحر المحيط ٢٦٨/ ٣).
(٣) ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ٤١٢/٣)
(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ٨ قوله "سيهزم الجمع ويولون الدبر"، رقم الحديث ٤٩٢٤، جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٢١ ه ١٠١٢/٢).
(٥) الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٤٢٢).

العرب: سمُّيت السّورة من القرآن سورة لأنها درجة إلى غيرها، ومن همزها جعلها بمعنى بقيّة من القرآن وقطعة، وأكثر القراء على ترك الهمزة فيها، وقيل: السورة من القرآن يجوز أن تكون من سُؤْرة المال ترك همزه لما كثر في الكلام. (١)

أو من السورة من البناء، وهي ما حسُن وطال منه، وتكون سميت سورة لارتفاع قدرها، أو لأنها منزلةٌ بعد منزلةٍ، مقطوعةٌ عن الأخرى، ففي الصحاح: هي كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى. (٢)

معنى السورة اصطلاحًا:

عرف الجعبري (٣) السورة بأنها : بعض قرآن يشتمل على آيات، ذو فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

وقال الزرقاني(٤): ويمكن تعريفها اصطلاحا بأنها: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع.(٥)

ــ الأنفال: لغة : جمع نفل والنفل هو ما يصيبه الغازي في سبيل الله يقال : أصاب الغازي نَفَلًا وأَنفَالًا، ونفَّلَه الإمام، وأَنْفَلَهُ، والإمام يُنَفِّل الجند، وتنفَّل المصلي : تطوَّع، تنفَّل على أصحابه: أخذ من النَّفَلِ أكثر مما أخذوا ؛ قاله الإمام الزمخشري. (٦)

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٢١٤٧/ ٤).

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الرابعة، (٦٩٠/ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ ه/ ١٩٨٧م.

(٣) الجعبري: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل، برهان الدين، أبو محمد الجعبري، الخليلي الشافعي، صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها، توفي سنة ٧٣٢ ه، انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ، ٧٤٣/٢).

(٤) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل ا مدرسا لعلوم القرآن. (٢١٠/ والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م من أشهر كتبه: مناهل العرفان في علوم القرآن. انظر: الزركلي، الأعلام: ٢١٠/٦).

(٥) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢٨٥/١).

(٦) أساس البلاغة، مادة: (ن ف ل)، ص ٤٦٨.

ـ الأنفال اصطلاحاً:

الأنفال في الاصطلاح تطلق علي : الغنائم التي ينالها المسلمون من عدوهم، وهي: ما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل الغنائم، "وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل" والله أعلم. [١]

(١) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير جزء٢ ص ٢٨٤.

المبحث الأول

سورة الأنفال " نبذة تعريفية "

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

في اسم السورة وعدد آياتها، وفضلها

أولا : اسم السورة ووجه تسميتها

تمهيد :

قبل الولوج في الحديث عن اسم سورة الأنفال، وسبب تسميتها بذلك الاسم ينبغي أن نذكر أن العلماء مختلفون في أسماء سور القرآن كلها من جهة التوقيف والاجتهاد، وبعبارة أخرى هل أسماء سور القرآن ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم أم أن بعضها كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم؟

فمذهب الجمهور : أن أسماء سور القرآن كلها توقيفية عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال السيوطي : " ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك. (١)

ومن الأدلة الواضحة على ذلك تلك الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضائل سور القرآن، والتي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بأسمائها.

إلا أن لبعض سور القرآن الكريم أسماء غير واحدة، كسورة البقرة، ويقال لها الفسطاط، وسورة المائدة، ويقال لها العقود،والمنقذة، وسورة النحل، وتسمى سورة النعم، وسورة التوبة وغيرها من السور.

قال الزركشي في ذلك : " وينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد. (٢)

---

(١) السيوطي: الإتقان: (٣٤٧/٢)

(٢) الزركشي، البرهان: (٢٧٠/١)

فالراجح والله أعلم أن أسماء السور كلها توقيفي، إذ لو فُتح هذا الباب لاستخرج كل فطن من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها فسماها بها، وفي ذلك مفاسد ومحاذير.

أما سورة الأنفال فقد أطلق عليها البعض وسماها " سورة القتال "؛ لأنها تتحدث عن أول قتال في الإسلام، كما أُطلق عليها أيضا سورة الفرقان؛ لتسمية الله تعالى لها في السورة: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، أو سورة بدر؛ كما صح عن ابن عباس، ولأنها نزلت في أعقاب غزوة بدر لتصفَ أحداثها. (١)

اشتهرت سورة الأنفال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم باسم : الأنفال، وقد جاء ذكر هذا الاسم فيما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : "

لما كان يوم بدر قُتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص فأخذت سيفه، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اذهب فاطرحه في القبض، فرجعت وبي ما يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت قريبا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فخذ سيفك. (٢)

فهذا الاسم هو الذي عُرفت به السورة بين المسلمين، وبه كتبت في المصاحف حين كتبت أسماء السورة، وكُتبت في كُتُب التفسير والحديث. (٣)

وجه التسمية: سُميت هذه السورة بسورة الأنفال، لأن أول آية افتتحت بها ورد فيها اسم الأنفال، بل وتكرر فيها، فذكر فيها حكم الأنفال،خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ولم يرد لفظ الأنفال في غيرها من سور القرآن الكريم. (٤)

ثانيا : عدد آيات سورة الأنفال

اختلف علماء العد في عدد آي السورة الكريمة على ثلاثة أقوال على النحو التالي:

---

(١) تفسير سورة الأنفال، د. علي جريشة، دار الأرقم ط١، ١٩٩٢م ص ٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، بحديث رقم: (١٥٥٥) (٢٢٢/١)، من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي، وهو لم يدرك سعدا.

(٣) انظر: صحيح البخاري (١٧٠٢/٤)، قال رحمه الله: تفسير سورة الأنفال. وانظر صحيح مسلم: (٢٤٥/٨)، قال رحمه الله: باب في سورة براءة والأنفال والتوبة.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٣٦٦/١٣)

القول الأول : أن عدد آياتها خمس وسبعون آية، عند أهل الكوفة.

القول الثاني: عدد آياتها ست وسبعون، عند أهل الحجاز والبصرة.

القول الثالث: عدد آياتها سبع وسبعون آية، عند أهل الشام. (١)

ثالثا : **فضل سورة الأنفال**

لم يثبت في فضل سورة الأنفال حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنها تنالت قدرا من الفضل الذي أسند لعموم سور القرآن، بالإضافة إلى خصائص أخرى، أوجزها في الآتي :

أولًا : **أنها من السور السبع الطوال** :

فعن واثلة بن الأسقع (٢)عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أعطيت مكان التوراة السبع، وأعُطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضلت بالمفصّل، وأعطيت مكان الزبور المئين.(٣)

ثانيا: **أنها تحدثت بإسهاب عن أهم أحداث يوم بدر**:

الذي سمي بيوم الفرقان وقد سمي هذا اليوم أيضا كما في نص الآية القرآنية بيوم التقى الجمعان وهما: (الجمع المسلم والجمع الكافر) ففرق الله فيه بين الحق

---

(١) انظر: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى، الكويت: مركز المخطوطات والتراث: ١٤٠٨ه/١٩٨٨ م (١٥٨)، والقاضي، عبد الفتاح عبد الغني، (الفرائد الحسان في عد آي القرآن، ومعه شرح نفائس البيان، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٤هـ.

(٢) هو: واثلة بن الأسقع بن كعب، صحابي مشهور، أسلم قبل تبوك وشهدها، وكان من أهل الصفة، نزل الشام وعاش بها، وكان آخر الصحابة موتا بدمشق، مات وله: (١٠٥). انظر: الإصابة: (٥٩١/٦)

(٣) مسند الإمام أحمد، (١٨٨/٢٨) برقم: ١٦٩٨٢) قال الهيثمي: فيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد: (١٣٢/٧) برقم: ١١٦٢٥)

والمراد بالسبع: هي السور السبع الطوال، وهي التي أولها البقرة وآخرها براءة، لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة، واختلف عن ابن عباس في السورة السابعة بين يونس والكهف، وأما المئون فهي: كل سورة تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثاني: هي السور التي آياتها أقل من مائة آية؛ لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطوال والمئون، أو لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر والقصص، وقد تسمى سور القرآن كلها مثاني والمفصل: هو ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم. واختلف في أوله على اثني عشر قولا، والذي عليه الأكثرون أن أوله من سورة القتال. انظر: الزركشي، البرهان: (٢٤٥/١)؛ والسيوطي، الإتقان: (١٧٣/١).

والباطل، ونصر فيه حزبه وأولياءه، وهزم حزب الشيطان وأتباعه. وعن أَبـي أُمامـة الْبَاهلي قَال: سألت عبادة بن الصامت [1]رضي الله عنه عن الأنفال، فقال: فينـا معشـر أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله مـن أيـدينا وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسّمه بين المسلمين عن بواء، يقـول علـى السواء. [2]

ثالثا: أنها تقرأ في مواطن الحرب والقتال:

وقد كان قوّاد جيوش المسلمين يجعلون لكل كتيبةٍ قارئا، فـإذا حمـي الـوطيس واشتدت الحرب كان يقرأ سورة الأنفال لتحيا معاني الإيمان في القلوب، ولتشتدّ الحميـة لهذا الدين في النفوس. ومن ذلك ما ذكره أصحاب المغازي والسـير أنـه فـي وقعـة القادسية صلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الظهر بأصحابه، وأمر غلامـا -كـان عمر رضي الله عنه ألزمه إياه، وكان من القراء بقراءة سورة الأنفال وكان المسـلمون كلهم إذ ذاك يتعلمون، فقرأها على الكتيبة التي تليه، وقُرئت في كل كتيبة، فهشت قلـوب الناس، وعرفوا السكينة مع قراءتها. [3]

(١) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد، شهد بدرا والمشاهد كلهـا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحد النقباء بالعقبة، وله مناقب كثيرة مات بالرملة سنة ٣٤هـ وقيل غير ذلك: انظر ابن حجر، الإصابة: (٦٢٦/٢)

(٢) أخرجه الإمام أحمد: (٤١٥/٣٧) برقم: (٢٢٧٥٤) وقال الهيثمـي فـي مجمـع الزوائـد (٢٦/٧) رجاله ثقات.

(٣) انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتـب العلمية، (١٤٠٧هـ: (٣٤/٢).

المطلب الثاني

نوع السورة ومناسبتها لأولها وآخرها، وتاريخ نزولها

أولا : نوع السورة :

سورةُ الأنفالِ مَدَنِيَّةٌ [١]، بَدْرِيَّةٌ [٢]، وحُكِي الإجماعُ على ذلك، [٣]نزلت في السنة الثانية للهجرة. وقيل: سورةُ الأنفالِ مَدَنِيَّةٌ إلَّا سبْعَ آياتٍ، مِن قَولِه: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى آخرِ سَبعِ آياتٍ؛ فإنَّها نزلت بمكَّةَ. وقيل: غير آيةٍ، وهي قَولُه: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا. وقيل: مَدنيَّةٌ غيرَ قَولِه تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فإنَّها نزلَت بالبيداءِ في غَزوةِ بَدرٍ قبل القِتالِ [٤]

ثانيا : : مناسبة السورة لأولها وآخرها.

وعلم المناسبة كما عند البقاعي : " :

هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها. [٥]

---

(١) يُنظَر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٥٣)، ((تفسير الثعالبي)) (٣٢٤/٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٤٩/٣). وقيل: سورةُ الأنفالِ مَدَنِيَّةٌ إلَّا سبْعَ آياتٍ، مِن قَولِه: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى آخرِ سَبعِ آياتٍ؛ فإنَّها نزلت بمكَّةَ. وقيل: غير آيةٍ، وهي قَولُه: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا. وقيل: مَدنيَّةٌ غيرَ قَولِه تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فإنَّها نزلَت بالبيداءِ في غَزوةِ بَدرٍ قبل القِتالِ. يُنظر: ((تفسير البغوي)) (٣٢٣/٣)، ((تفسير الزمخشري)) (١٩٣/٢)، ((تفسير ابن عطية)) (٤٩٦/٢)، ((تفسير الرازي)) (٤٤٧/١٥).

(٢) يُنظَر: ((تفسير القرطبي)) (٣٦٠/٧).

(٣) ممَّن حكَى الإجماعَ على ذلك ابنُ الجوزيِّ، والفيروزابادي، والبِقاعي. يُنظَر: ((تفسير ابن الجوزي)) (١٨٦/٢)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (٢٢٢/١)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (١٤٤/٢).

(٤) ينظر تفسير البغوي: (٣٢٣/٣)، تفسير الزمخشري (٢/ ١٩٣)، تفسير بن عطية: (٢/ ٤٩٦)، تفسير الرازي: (١٥/٤٤٧)

(٥) البقاعي: نظم الدر: (٥/١)

ويقول الدكتور مناع القطان [١] في تعريف المناسبة هو : " وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة. [٢]

أما عن مناسبة أول السورة بآخرها فقد أوضحه الإمام السيوطي رحمه الله : فقال : " "قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٤. وقال تعالى (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) الأنفال: ٧٤." قال السيوطي: رحمه الله معلقًا على هذه الآية " أقول :

"هذه مناسبة آخر السورة لأولها، وخاتمتها لفاتحتها؛ لتقدم نظير ذلك أول السورة. ولما تقدّم هناك وصفهم بأعمال القلوب من الخوف وزيادة الإيمان والتوكل؛ زاد في الوعد {درجات}، ولماّ لم يكن هنا سوى الأفعال البدنية والمالية اقتصر على المغفرة والرزق الكريم المذكور من أول السورة في مقابلتها" أهـ. [٣]

وقد ذكر السيوطي وجهًا آخر في مناسبة أول السورة لآخرها، في قطف الأزهار تعليقًا على قوله تبارك وتعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} سورة التوبة: ٧٢ قال السيوطي:

" الآيات هذه غاية البراعة في ختام هذه السورة! وظهر لي في وجه الختم بها ما لم أقف عليه لأحد: وذلك أن السورة لماّ نزلت في تنازعهم في الأنفال وحثهم على إصلاح ذات البين، وذكّرهم بنعمه، وحذّرهم من التنازع غاية التحذير، إلى آخر ما تقدّم؛ ختمها بذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فلا ينبغي تنازعهم بل اللائق بهم التواد والتحاب والتناصر والتوافق، وألا يكون عرض الدنيا الفاني الزائل قاطعًا بينهم. [٤]

---

(١) هو: الشيخ مناع خليل القطان، من مواليد قرية شنشور بمحافظة المنوفية بمصر بتاريخ ١٣٤٥هـ، شارك في كثير من الأنشطة العلمية والدعوية، وله جهود في كثير من المجالات، ومؤلفات في شتى الموضوعات، توفي يوم الاثنين، وصلي عليه في مسجد الراجحي، ودفن في مقابر النسيم بالرياض الدعوية، ١٤٢٠/٤/٦هـ، انظر: موقع الشبكة http://www.daawa-info.net/bio.php?id=92

(٢) القطان، مباحث في علوم القرآن: (٩٢).

(٣) السيوطي، قطف الأزهار فيكشف الأسرار، (١١٢٨-١١٢٧/ ٢)

(٤) مراصد المطالع في تناسب الآيات والمقاطع، جلال الدين السيوطي، تحقيق بازمول، جامعة أم القرى، ط١، ٢٠٠٢م، المكتبة المكية.

ثالثا : تاريخ نزول السورة

نزلت سورة الأنفال بعد غزوة بدر الكبرى مباشرة، وكانت غزوة بدر في رمضان في السنة الثانية لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير في البداية والنهاية: في ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة من الحوادث : " وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل والغي والهدى. (١)

وقال ابن هشام: فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسره فكان مما نزل اختلافهم في النفل. (٢) وقد عرفت سورة الأنفال بسورة بدر، كما سبق عن ابن عباس بأنه قال : تلك سورة بدر، وهذا مما يؤكد على أن نزول السورة كان في غزوة بدر.

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: (٥/٥).

(٢) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل، ١٤١١ ه، (٦٦٧/١).

المطلب الثالث

مقاصد سورة الأنفال وأبرز موضوعاتها

من أهَمِّ مقاصدِ سُورةِ الأنفالِ: بيانُ أسبابِ النصرِ، وبعضِ أحكامِ الجهادِ. [1] ومن أبرَزِ المَوضوعاتِ التي تضمنتها سُورةِ الأنفالِ ما يلي :

١- بَيانُ أحكامِ الغَنائمُ " الأنفال "- وكيفية قِسمَتِها وبيان مصارِفِها، والأمرُ بِتَقوى اللهِ في ذلك وغَيرِه، والأمرُ بطاعةِ اللَّهِ ورَسولِه في أمرِ الغَنائمِ وغَيرِها، وأمرُ المُسلمينَ بإصلاحِ ذاتِ بَينِهم، وأنَّ ذلك مِن مُقَوِّماتِ معنى الإيمانِ الكامِلِ.

٢- وصفُ المؤمنينَ الصادقينَ، وتبشيرُهم بالدرجاتِ الرفيعةِ والمنازلِ العاليةِ ذكرُ ما عليه المشركون مِن جهلٍ وعنادٍ.

٣- ذِكرُ الخُروجِ إلى غزوةِ بَدرٍ، وكراهيةِ فريقٍ مِن المؤمنينَ لذلك، وما لَقُيه المؤمنون في هذه الغزوةِ مِن نَصرٍ وتأييدٍ مِن الله، ولُطفِه بهم، وامتنانِه عليهم، والأمرِ بالاستعدادِ لِحَربِ الأعداءِ، والأمرِ باجتماعِ الكَلِمةِ، والنَّهيِ عن التَّنازُعِ، والأمرِ بأن يكونَ قَصدُ النُّصرةِ للدِّينِ نُصْبَ أعيُنِهم، ووصْفِ السَّبَبِ الذي أخرَجَ المسلمينَ إلى بدرٍ، ومَواقِعِ الجيشَينِ، وصفاتِ ما جرى مِن القِتالِ.

٤- توجيهُ عدةِ نداءاتٍ لِلمُؤمنينَ ؛ وإرشادُهم في كلِّ واحدٍ منها إلى ما فيه خَيرُهم وفَلاحُهم.

٥- تذكيرُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بنِعمةِ اللهِ عليه؛ إذ أنجاه مِن مَكرِ المُشركينَ به بمكَّةَ.

٦- بيان أنَّ مُقامَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمكَّةَ كان أمانًا لأهْلِها، فلمَّا فارَقَهم فقد حَقَّ عليهم عذابُ الدُّنيا؛ بما اقتَرَفوا مِن الصَّدِّ عن المسجدِ الحَرامِ.

٧- دعوةُ المشركينَ للانتهاءِ عَن مُناوأةِ الإسلامِ، وإيذائُهم بالقتالِ، والتَّحذيرُ مِن المُنافِقينَ.

٨- تفصيلُ أمرِ الغنائمِ، وبيانُ ما أُجمِلَ في أوَّلِ السُّورةِ.

---

(١) يُنظَر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (٢٢٢/١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢١٤/٨)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (١٤٦/٢)، ((تفسير القاسمي)) (٢٥١/٥).

٩- ذكرُ أحكامِ العَهدِ بين المُسلمين والكُفَّارِ، وما يترتَّبُ على نَقضِهم العهدَ، ومتى يَحسُنُ السَّلْمُ. إضافة لبيانُ أحكامِ الأسْرَى، وأحكامِ المُسلِمينَ الذين تخلَّفُوا في مكَّةَ بعد الهِجرةِ، ووَلايَتِهم، وما يترتَّبُ على تلك الوَلايةِ. (١)

(١) موسوعة التفسير، الدرر السنية، https://dorar.net/tafseer/8.

المبحث الثاني

الوسائل الواقية من الوقوع في الهزيمة في ضوء سورة الأنفال

الوسيلة الأولى: تقوى الله عز وجل والإيمان به.

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال الآية: (١)

والمعنى الإجمالي :كما في المختصر في التفسير الميسر: يسألك أصحابك -أيها الرسول- عن الغنائم، كيف قسمتها ؟ وعلى من تكون القسمة ؟ قل -أيها الرسول- مجيبًا سؤالهم: الغنائم لله ورسوله، وحكمها لله ولرسوله في التصرُّف والتوزيع، فما عليكم إلا الانقياد والاستسلام، فاتقوا الله -أيها المؤمنون- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التقاطع والتدابر بالتواد والتواصل وحسن الخلق والعفو، والْزَمُوا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقًّا؛ لأن الإيمان يبعث على الطاعة والبعد عن المعصية، وكان هذا السؤال بعد وقعة بدر. (١)

والتقوى : هي الملَكة التي تحمل العبد على فعل الطاعة واجتناب المعصية ؛ فهي واقية من عقاب الله تعالى بطاعته (٢)، والتقوى وصية الله إلى الأولين والآخرين كما في قوله : ﴿... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ ...﴾ سورة النساء، من الآية: ١٣١.

كما أوصى بها النبي ﷺ في كل موطن، قال ﷺ: "اتق الله حيثما كنت" (٣)، وأوصى بها قادتَه، قال بريدة بن الحصيب: (٤)كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو

---

(١) المختصر في التفسير، مركز تفسير الراسات القرآنية، مكتبة روائع المعرفة، جدة.

(٢) على بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، (دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٥هـ، / ٩٠).

(٣) جزء من حديث أخرجه الترمذي في السنن (١٩٨٧) ٣٥٥/٤، وقال: حديث حسن صحيح. والدارمي في السنن (٢٧٩١) ٤١٥/٢. وأحمد في المسند (٢١٣٩٢) ١٥٣/٥.

(٤) بُرَيْدَة بن الخصَيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، المتوفى سنة ثلاث وستين، وكان صحابيًا أسلم حين مرّ به النبي - صلى الله عليه وسلم - مهاجرًا وأقام في موضعه وقيل: أسلم بعد منصرف النبي -عليه السلام- من بدر وسكن البصرة لما فتحت، وفي الصحيحين أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ست عشرة غزوة، وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم مائة وخمسون حديثًا، وكان غزا خراسان في زمن عثمان، ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية، انظر: الإصابة، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول - حاجي خليفة.

سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومَن معه مِن المسلمين خيرًا، ثم قال: "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا" (١)

وقد أمدّ الله المؤمنين في غزوة بدر ﴿بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ سورة آل عمران، من الآية: ١٢٤، ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثًا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم (٢) فقال: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ سورة آل عمران، من الآية: ١٢٥.

فالعاقبة المحمودة لأهل التقوى (٣)، كما قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٢٨، وهي تسلمهم من شر الأشرار وكيد الفجّار (٤): ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

وتكسبهم معية الله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة، من الآية: ١٩٤، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ سورة التوبة، الآية: ١٢٣. فالإيمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى، والشهادة بكونهم من زمرة المتقين (٥)، يقول لهم: أيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم، فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه (٦).. ومن كان الله معه لم يقم له شيء (٧)

---

(١) صحيح مسلم، باب معرفة الركعتين اللتين كان، ١٣٥٧/٣، رقم الحديث (١٧٣١). وأبوداود (٢٦١٢) ٤٣/٢. والترمذي (١٦١٧) ١٦٢/٤. وابن ماجه (٢٨٥٨) ٩٥٣/٢.

(٢) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم = تفسير أبي السعود"، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، (١ /٤، ٣)

(٣) الطبري، مرجع سابق، ٢٨/٦.

(٤) ابن كثير، مرجع سابق، ٥٢٨/١.

(٥) أبو السعود، (المرجع السابق)، ١١٢/٤.

(٦) الطبري، مرجع سابق، ٥١٧/٦.

(٧) الشوكاني، فتح القدير، (مرجع سابق) ٦٠٤/٢.

وتقوى الله والخوف منه فرع عن الإيمان به والتصديق بما أرسله من أنبياء ورسل، وبما جاؤوا به من عند الله، والتذرع بتقوي الله من أهم أسباب النصر؛ فقد تكفل ربنا تعالى بنصر المؤمنين، كما تكفل بنصر المرسلين عليهم السلام: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ سورة غافر، الآية: ٥١، بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات [١]؛ وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم... وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا، ويقرّ أعينهم ممن آذاهم [٢]،فالمؤمنون أتباع الرسل، ونصر المؤمنين الصادقين نصر للرسل المكرمين، بل جعل الله نصر المؤمنين حقًا واجبًا عليه تكرمًا منه وفضلًا: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الروم، الآية: ٤٦.

وخلاصة الأمر : لقد رغّبنا الله في التقوى والعمل بها ولقد اتخذت دعوة القرآن إلى التقوى أساليبَ شتى من الأمر بها، وبيان آثارها، والثناء على أهلها، والترغيب في محاسنهم، وتجلية فضائلهم، والترهيب من تركها، والإعراض عنها، والاتصاف بأضدادها، حتى نتمسك بها ونعمل بها فنفوز في الدنيا وفي الآخرة.

الوسيلة الثانية: إصلاح ذات البين :

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال الآية : (١).

المعنى الإجمالي : كما في المختصر في التفسير الميسر: " فاتقوا الله –أيها المؤمنون– بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التقاطع والتدابر بالتواد والتواصل وحسن الخُلق والعفو، والْزَمُوا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقًّا؛ لأن الإيمان يبعث على الطاعة والبعد عن المعصية، وكان هذا السؤال بعد وقعة بدر. [٣]

{وذات بينكم} يعني ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، والبين يطلق على الوصل والافتراق، وقد جُمع المعنيان في قول الشاعر:

---

(١) أبو السعود، مرجع سابق، ٢٨٠/٧.

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ١٠٦/٤.

(٣) المختصر في التفسير، مرجع سابق١٧٧.

فوالله لولا البين لم يكن الهوى ∴ ولولا الهوى ما حنّ للبين آلِفُ [1]

فكان إصلاح ذات البين هو بذل الجهد لتحسين العلاقات بين المؤمنين، وتقوية الروابط فيما بينهم ؛ وإزالة المشاحنة والخلاف، ومنع القطيعة وإقامة الألفة، وإشاعة روح الحب والتعاون والتضامن والإخاء بين المؤمنين وبعضهم حتى يكونوا كالبنيان المرصوص؛ امتثالًا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ سورة الصف : ٤؛

وإن ترك إصلاح ذات البين يعني الفرقة والضعف وإيجاد الثغرات التي يدخل من خلالها الشيطان ويتسلل منها العدو فتحدث الهزيمة والانهيار لا قدر الله، لهذا كان الأمر بإصلاح ذات البين أول الأوامر بعد تقوى الله عز وجل لتحقيق النصر والغلبة على الأعداء، ولما له من أهمية بالغة في النصر والتوحد والظفر.

ومن كلام ابن القيم رحمه الله [2] في استنباطه أسباب النصر من هذه الآيات قوله: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوّي به المتنازعون عدوهم عليهم، فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها. [3]

ويُعلل الشيخ / سيد قطب الفشل الناتج عن التنازع بأنه اتباع الهوى، يقول: " فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله ﷺ انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم – مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة – فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب

---

(١) أدب الحرب والسلم في سورة الأنفال، د. احمد جمال العمري دار المعارف، ط١، ١٩٨٩، ص ٣٢٠.

(٢) شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة، وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، وكان حسن القراءة والخلق، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكَتب بخطه الحسن شيئا كثيرا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشْرِه من كتب السلف والخلف، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله.

(٣) ابن القيم، الفروسية، مرجع سابق، ٥٠٦.

وجهة يصرّ عليها مهما تبين له وجه الحق فيها؛ وإنما هو وضع الذات في كفة، والحق في كفة، وترجيح الذات على الحق ابتداء. (١)

واللافت للنظر أن الأمر بإصلاح ذات البين في مستهل سورة الأنفال له شأن خاص في هذا الظرف وتلك المناسبة ؛ فصلاح ذات البين هو صمام الأمان من التنازع والمشاحنة بسبب توزيع الغنائم، لأن من شأنه إحداث جو من الرضا والتسامح بين من أخذ ومن لم يأخذ أو بين من أخذ أكثر ومن أخذ أقل من أخيه.. وهو أيضًا الصخرة التي تتحطم عليها آمال المشركين في هزيمة المسلمين واختراق صفوفهم..

وقد ذَكَرت بعض الروايات خلافًا أو مشاحة بين الصحابة الكرام حول الغنائم. (٢)

ومن هنا كان على الدعاة والمصلحين والقادة والمربين أن يعملوا على إزالة أسباب الخلاف بين المسلمين كي يكونوا صفًا واحدًا وقلبًا واحدًا، وأن يصلحوا بين المتشاحنين، كذلك فإن منهج الدعوة لا بد أن يهدف إلى تحقيق صلاح ذات البين من أجل تماسك الجبهة الداخلية في السلم والحرب، وإشاعة أجواء الألفة والوئام بين المسلمين.

يقول الشيخ محمد الغزالي (٣): وعلى جماعة المسلمين أن تسارع إلى تدارك الموقف وإصلاح ذات البين. فإذا اعتز أحد بالإثم وحاول البغي تظاهر عليه الجميع وأوقفوه عند حده، وقد رأيت معارك نزفت فيها دماء غزيرة وأعقبها خسار واسع لأن المسلمين ضعفوا عن قول الحق للمعتدي وعجزوا عن رد بغيه فكانت النتيجة أن هانت الأمة كلها وطمع فيها أعداؤها.. إن ضعف رباط الأخوة الإسلامية نذير شر، وهو ذريعة إلى تدخل غير المسلمين كي يستغلوا الأوضاع المائلة لمصالحهم الخاصة، والإسلام هو الخاسر أولًا وآخرًا) (٤)قلت: بل المسلمين!

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣/١٥٢٨-١٥٢٩.
(٢) انظر: سنن الترمذي، (باب في النفل)، ١٥٦١، ص ٤٢٢، قال الترمذي
(٣) الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا: ولد بقرية "تكلا العنب" مركز إيتاي البارود محافظة البحيرة في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧، حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، والتحق بالمعهد الديني بالإسكندرية سنة ١٩٢٨ ثم التحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف سنة ١٩٣٨، وتخرج سنة ١٩٤١ وعمل بالخطابة ومنع منها ثم عاد عدة مرات، ثم عين وكيلًا للدعوة بوزارة الأوقاف المصرية في ١٨/ ٧/ ١٩٧١، وعمل بالسعودية والجزائر وتوفى سنة ١٩٩٦، ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة.
(٤) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، للشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، ط٣، ١٩٩٧، ص٤٠٤.

ولذلك فإن أعظم القواعد التي استخدمها أهل الباطل قديمًا وحديثًا هي "فرِّق تَسُدْ" استَخدَمَها اليهود وما زالوا، وكل المراكز البحثية التي تتحكَّم في صناعة القرارات الغربية تجاه العالم الإسلامي تُوصي بتمزيقِهم شذرًا؛ لأنهم يَعرِفون أن اتِّحادنا على الحق يقتلهم ويُهلِكُم ويُنهيهم.

" فَرِّق تَسُدْ " هو مصطلح سياسي عسكري اقتصادي الأصل اللاتيني له " divide et impera" ويعني : تفريق قوة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرقة، لتصبح أقل قوة وهي غير متحدة مع بعضها البعض مما يسهل التعامل معها.

كذلك يتطرق المصطلح للقوى المتفرقة التي لم يسبق أن اتحدت والتي يراد منعها من الاتحاد وتشكيل قوة كبيرة يصعب التعامل معها. وسياسة فرق تسد ليست بسياسة جديدة بل هي قديمة قدم السياسة نفسها حيث طبقها السومريون والمصريون واليونانيون القدماء لتفكيك قوة أعدائهم وتحييد هذه القوة من خلال توجيهها داخليا واحدة ضد الأخرى. والاستعمار في شكله الحالي ومنذ نشأته في بداية سبعينيات القرن التاسع عشر طبق هذا الأسلوب القديم في السياسة لنفس الأغراض والأهداف ومن أجل إضفاء الشرعية على احتلاله لبلد ما من خلال الظهور. (١)

وخلاصة الأمر: تأمّل كيف قدّم ربنا إصلاح ذات البين على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكم هو مؤسف أن تمر الأيام على أناس يقرؤون هذه الآية، وهم مصرون على القطيعة عياذا بالله، وأن اصلاح ذات البين والوحدة والتماسك عنصر نصر وقوة للمسلمين على عدوهم.

الوسيلة الثالثة: طاعة الله ورسله.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال الآية : (١).

المعنى الإجمالي : كما في المختصر في التفسير الميسر: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} والْزَمُوا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقًّا ؛لأن الإيمان يبعث على الطاعة

(١) ويكيديا الموسوعة الحرة،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B1%D9%82_%D8%AA%D8%B3%D8%AF

والبعد عن المعصية، وكان هذا السؤال بعد وقعة بدر. (١)

ولقد أمر الله تعالى المؤمنين بطاعته فيما يأمرهم به، وطاعة رسوله ﷺ فيما يرشدهم إليه، وحذر من مخالفة رسوله ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٢٠. أي لا تتولوا عن الرسول ﷺ، فإن المراد هو الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه، وذكَر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على أن طاعته تعالى في طاعة رسوله ﷺ : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾ سورة النساء، الآية: ٨٠.

وقد جعل الله تعالى طاعته وامتثال أوامره من عوامل النصر التي ذكرها في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٤٥ -٤٧، لأن الطاعة توحّد الصف، وتمحو الخلاف، وتُكسب القوة في مواجهة العدو. يقول ابن كثير رحمه لله :

" وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا، في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب. (٢)

وإذا كانت الأسباب المادية من عتاد وعدد مطلوبة شرعًا لصد عدوان المعتدين وحماية الدين والحق والدفاع عن المقدسات والأوطان، إذا كان ذلك كله مطلوبًا شرعيًا كما قال الله -عز وجل-: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ

---

(١) المختصر في التفسير، مرجع سابق١٧٧.

(٢) الإمام الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط١، (مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٥٤٣٩/١٠.

عَدْوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ)، إذا كان ذلك الاستعداد المادي مطلوبًا شرعًا، وكان المسلمون ملومين متى ما قصروا في الاستعداد لصد عدوان المعتدين، فإن من أهم أسباب النصر على الأعداء قوة الصلة بالله -عزّ وجل- والاستجابة إليه -سبحانه وتعالى- وطاعته في الصغير والكبير؛ لأن طاعة الله -عز وجل- هي الحصن الذي يقي العبد المطيع من سخط الله -عز وجل- وعذابه في الدنيا والآخرة، ويحقق له رضاه -سبحانه وتعالى وتمكينه ونصره على الأعداء.

ولذلك كثر الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- في الكتاب والسنة؛ لأن الطاعة دليل الإيمان الحق، وهي سبب في تحقيق الاهتداء كما في قول الله -عز وجل- {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} سورة النور: ٥٤، أي يحصل لكم الهداية والتوفيق لكل ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، صلاح معادكم ومعاشكم. {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ْ} إلى الصراط المستقيم، قولا وعملا، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال. (١)

فإذا أردنا النصر على أنفسنا وعلى أعداءنا فعلينا بطاعة لله عز وجل وطاعة رسوله صلى لله عليه وسلم في المنشط والمكره والعسر واليسر وفي كل أحوالنا. وأعظم أسباب الخذلان معصية الله قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

" يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أحد، وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان " (٢)

خلاصة الأمر: أن من أهم أسباب النصر على الأعداء قوة الصلة بالله -عزّ وجل- والاستجابة إليه -سبحانه وتعالى- وطاعته في الصغير والكبير؛ لأن طاعة الله -عز وجل- هي الحصن الذي يقي العبد المطيع من سخط الله -عز وجل- وعذابه في الدنيا والآخرة، ويحقق له رضاه -سبحانه وتعالى وتمكينه ونصره على الأعداء. وأعظم

(١) تفسير ابن سعدي، مرجع سابق. ص

(٢) تفسير ابن سعدي مصدر سابق.

طاعة هي توحيد الله وإرادة وجهه سبحانه في كل عمل، فالمجاهد المسلم يريد بجهاده إعلاء كلمة الله، قال صلى الله عليه وسلم: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله.() متفق عليه.

الوسيلة الرابعة: عدم التولي يوم الزحف

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ سورة الأنفال الآية: (١٥).

المعنى الإجمالي : كما في المختصر في التفسير الميسر: {يا أيها الذين آمنوا} بالله واتبعوا رسوله، إذا قابلتم المشركين في القتال متقاربين فلا تنهزموا عنهم، وتولوهم ظهوركم هاربين، ولكن اثبتوا في وجوههم، واصبروا على لقائهم، فالله معكم بنصره وتأييده. (١)

هذا هو أول نداء في السورة الكريمة، وهو خطاب عام، ووصية من الله تعالى للمؤمنين إلى يوم القيامة.

يقول الإمام الألوسي : " والحقيقة أنه خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارًا للاعتناء به وحثًا على المحافظة عليه (٢)، وعلى هذا فإن التولي يوم الزحف حرام على المسلمين في دين الله عز وجل، وهو كبيرة من الكبائر كما جاء في الحديث؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" (٣)

إن المؤمن الموصول بالله ينبغي أن يكون رابط الجأش ذا قلب راسخ بيقين أن ربه القاهر فوق عباده ؛ لأن بداخل المؤمن حقًا اعتقادًا بأن الآجال بيد الله، وأنه إلى الله إن كان حيًا، وإلى الله إن كُتبت له الشهادة. فهو بهذا أقوى من خصمه الذي يواجهه.

---

(١) المختصر في التفسير، مرجع سابق١٧٧.

(٢) روح المعاني، ج٥، ص ٤٨٤.

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي، المجلد الأول، ص ٢٧٧، باب الكبائر وأكبرها، طبعة دار الشعب.

فالثبات في ميدان القتال من أعظم الواجبات وهو شرف المؤمن وبرهان صدقه مع الله تبارك وتعالى، والفرار جبن وخور، وإيذاء للمسلمين وخيانة لهم، فإنه يحدث في الصفوف الفرقة، ويفت في العزائم ويضعف الهمم، ويشجع العدو على الإغارة على من ثبت من المسلمين، والفلاح كل الفلاح في الثبات وحسن الثقة بالله والاعتصام به في مثل هذه المواطن، وطلب العون منه، فهو خير ناصر وخير معين.

فقد أمر الله في هاتين الآيتين بما يحقق لهم النصر ويعظم لهم الأجر ويضاعف من إيمانهم وثقتهم بأنفسهم واعتزازهم بدينهم في جو من الإخاء والتعاون البناء.

الأمر الأول: الثبات أمام العدو، وهو الصدق عند اللقاء، بمعنى أنهم يكرون ولا يفرون، يقدمون ولا يحجمون، يتناصرون ولا يتخاذلون، وقد أثنى الله على هؤلاء الذين كانوا لا يهابون العدو في أشرس مواطن القتال طلبًا للنصر والشهادة وإرضاء له جل شأنه فقال: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ} (سورة الأحزاب: ٢٣- ٢٤)

والأمر الثاني: هو الإكثار من ذكر الله ولا سيما لقاء العدو؛ فإن الذكر يعينهم على القتال ويدفعهم إلى طلب الشهادة في سبيل الله، ويزجرهم عن الفرار من وجه العدو في الوقت الذي يكون الثبات فيه من أوجب الواجبات.

ولقد كان أصحاب النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يكثرون من الذكر وتلاوة القرآن من بداية سيرهم إلى أرض المعارك حتى ينتهي القتال ويتخذون منه زادًا يبلغهم مقاعد الأبرار في الوقت الذي تزيغ فيه الأبصار وتبلغ فيه القلوب الحناجر. (١)

إن ركون المسلمين إلى الدنيا نتج عنه الضعف واستصغارهم في أعين أعدائهم فساموهم سوء العذاب وقتلوا أبناءهم وذبحوا نساءهم واستباحوا حرماتهم واغتصبوا أراضيهم وهذا ما نراه بأعيننا في أماكن عديدة من العالم الإسلامي. (٢)

خلاصة القول: لنعلم جميعًا أن الجهاد في سبيل الله تعالى ليس مقصورًا على القتال في ساحات الوغى والقتال فقط، ولكن ساحات الجهاد في سبيل الله كثيره جدًا

---

(١) موقع رسول الله، https://rasoulallah.net/ar/articles/article/25057

(٢) التولي يوم الزحف من الموبقات، https://www.albayan.ae/sports/2007-09-28-1.793733

فمنها الجهاد بالقلم والفكر والكلمة، وإيضاح الحق لجاهليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل صاحب علم يجب عليه ألا يترك ميادين العلم، وتفهيم وتبصير الناس دينهم، موليًا ظهره للدعة والراحة، بل يبذل كل الوسع والطاقة لنصرة دين الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

الوسيلة الخامسة: اجتناب المعاصي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ سورة الأنفال الآية : (٢٠)

المعنى الإجمالي : كما في المختصر في التفسير الميسر: {يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولا تعرضوا عنه بمخالفة أمره وإتيان نهيه، وأنتم تسمعون آيات الله تُقرأ عليكم. (١)

إن مما لا يشك فيه عاقل أن المعاصي سبب لخذلان الله للعبد كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} [آل عمران: ١٥٥]. وقد عاقبهم الله ببعض ما كسبوا؛ فكيف لو عاقبهم به كله؟ {أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. [آل عمران: ١٦٥].

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص –رضي الله تعالى عنهما– قال: رأى سعد أن له فضلًا على من دونه، فقال النبي ﷺ: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟ (٢)

وعن أبي الدرداء عامر الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أَبْغُوني في الضعفاء، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم. (٣)

---

(١) المختصر في التفسير، مرجع سابق١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، برقم (٢٨٩٦).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة، برقم (٢٥٩٤)، والترمذي، كتاب الجهاد عن رسول الله ، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة، وبرقم (١٧٠٢)، والنسائي بلفظ: ابغوني الضعيف، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، برقم (٣١٧٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (٢٣٣٥).

فدل ذلك على أن لمعاصي العباد أثرا، أي أثر في تسليط عدوهم عليهم، ونيلهم منهم؛ وأن أعظم ما ينصر به المؤمنون على عدوهم: صلاتهم، ودعاؤهم، وإخلاصهم لله جل جلاله. ولأجل ذلك: بوب الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد من صحيحه: قال: «باب: عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم. (١)

إن الطاعة سبب لتثبيت الله تعالى لعبده في المواقف الدنيوية والأخروية {يُثَبِّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧]. إن إصلاح النفس من أهم مقومات النصر، ولذا جاء الحديث عنه في وسط الآيات التي تتحدث عن غزوة بدر؛ فكأنه إشارة إلى أن سبب نصرهم في بدر إنما هو طاعة الله باتباع أمره واجتناب نهيه. قال الله ــ تعالى ــ في سورة الأنفال: {يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} سورة الأنفال: ٢٠،٢١)

وخلاصة الأمر: ينبغي أن ندرك أن الجهاد غير قاصر على جهاد السيف وساحات المعارك فحسب، بل يمتد ليشمل ساحات الفكر والدفاع عن دين لله، والذب عنه، ومجابهة أصحاب الشبهات، ومقارعتهم الحجة بالحجة، وتصحيح اعوجاجهم الفكري، وعدل جنوحهم العقلي، فكل صاحب قلم وفكر إسلامي صحيح لا ينبغي له أن يترك ساحات المعارك الفكرية، متوليا عن الزحف والذب عن دين الله وسنة نبيه وصحابته الكرام، لأنه لا شك إن فعل ذلك باء بإثم عظيم وكان ذلك ذنبا وجرما بشعا عز فيه العذر.

الوسيلة السادسة: شكر لله تعالى.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة الأنفال: ٢٦.

والمعنى الإجمالي : كما في المختصر في التفسير الميسر: {واذكروا} – أيها المؤمنون – حين كنتم في مكة قليلي العدد، يستضعفكم أهلها، ويقهرونكم، تخافون أن يأخذكم أعداؤكم بسرعة، فضمكم الله إلى مأوى تأوون إليه وهو المدينة، وقَوَّاكم بالنصر على أعدائكم في مواطن الحرب التي منها بدر، ورزقكم من الطيبات، ومن جملتها الغنائم التي أخذتموها من أعدائكم، لعلكم تشكرون لله نعمه، فيزيدكم منها، ولا تكفرونها

(١) صحيح البخاري" (٢٠/٢) ط طوق النجاة.

فيسلبها منكم، ويعذبكم. ويستشهد بما حدث مع النبي لوط عليه السلام حين نجاه الله من العذاب الذي أهلك قومه بسبب شكره لله. فقال تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ» (القمر: ٣٤ – ٣٥).

فشكر الله مدعاة لاستجلاب نصره، ودفع نقمه وعذابه، ووعد بالمزيد من الإنعام كما في قوله : لئن شكرتم لأزيدنكم "

الوسيلة السابعة: الثبات عند اللقاء والصبر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الأنفال: ٤٥.

المعنى الإجمالي : أدّب الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن يثبتوا عند اللقاء ومواجهة الأعداء، فالثبات من توابع الصبر ومن مستلزمات النصر، فأثبتُ الفريقين أغلبُهما، وأعظم ما تشتد الحاجة إليه عندما يضطرب الأمر، ويدبّ الذعر، وتنتشر الشائعات، وتشيع الهزيمة في نفوس المقاتلين، وقد جاء الأمر به عند اللقاء مع العدو، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٤٥ وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء[١] أي: إذا حاربتم جماعة من الكفرة فاثبتوا للقائهم في مواطن الحرب[٢]، ولا تجْبُنوا عنهم، وهذا لا ينافي الرخصة في قوله: ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾سورة الأنفال، من الآية: ١٦، فإن الأمر بالثبات هو في حال السعة، والرخصة هي في حال الضرورة، وقد لا يحصل الثبات إلا بالتحرف والتحيّز.

فالصبر يلازم النصر، كما قال ﷺ: "واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا" [٣].

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٤١٧/٢.

(٢) أبوالسعود، مرجع سابق، ٢٥/٤.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٣٠٧/١)، وانظر سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة – تابع باب ما جاء في صفة أواني الحوض (٢٨٠٠).

والصبر على البلاء واجب لا بد منه، وإنما ينال بقليل من التجلد والتحمل كما قال: الرسول صلى الله عليه وسلم "ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر" (١)

وقد يلقى المسلم عدوًا يصبر كما يصبر؛ فهو مأمور حينئذ بالمصابرة وهي: (الصبر في وجه الصابر، وهذا أشد الصبر ثباتًا في النفس وأقربه إلى التزلزل؛ ذلك أن الصبر في وجه صابر آخر شديدٌ على نفس الصابر لما يلاقيه من مقاومة وقِرْن له قد يساويه أو يفوقه، ثم إن هذا المصابر إن لم يثبت على صبره حتى يملّ قِرْنُه، فإنه لا يجتني من صبره شيئًا؛ لأن نتيجة الصبر تكون لأطول الصابرين صبرًا وهي سبب نجاح الحرب (٢)، قال الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠] .

ولنعلم أن من أهم عوامل النصر الثبات عند اللقاء، وعدم الانهزام والفرار، فقد ثبت النبي صلى الله عليه وسلم – في جميع معاركه التي خاضها كما في بدر وأحد وحنين، فعن البراء (ترجمة البراء) رضي الله عنه –أنه قال له رجل: يا أبا عمارة وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولى النبي ﷺ، ولكن ولى سرعان الناس، فلقيَتهم هوازن بالنبل، والنبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" (٣)

ومن صفات المتقين صبرهم على الابتلاء بالمال والجسد ولقاء العدو كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ سورة البقرة، من الآية: ١٧٧؛ فقد جمعت هذه الآية من أنواع الصبر ما يكون في المال من الفقر والشدة: فِي الْبَأْسَاء. وفي الجسد من المرض والزمانة: والضَّرَّاء. وفي مواطن الحرب وقت مجاهدة العدو: وَحِينَ الْبَأْسِ. (٤)

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة – باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٦٩)، ومسلم: كتاب الزكاة – باب فضل التعفف والصبر (١٠٥٣).
(٢) أخرجه أحمد في المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٢٨٠٤) ٣٠٧/١. والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٤) ٢٧/٢. وهو صحيح.
(٣) رواه البخاري برقم (٢٧١٩و٢٧٧٢و٤٠٦٣)؛ ومسلم برقم (١٧٧٦، و١٧٧٦).
(٤) أبو السعود، مرجع سابق، ١٩٤/١.

والصابر حين البأس منصور لأن الله معه، وهي معية نصره وتوفيقه حتمًا، مهما كانت فئتهم قليلة وفئة أعدائهم كثيرة، وقد أكد الله لنا هذا على لسان طالوت وجنوده : ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٤٩، فتوجهوا إلى الله تعالى أن يلهمهم الصبر والثبات والنصر: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٥٠.

وخلاصة القول : لا بد بعد عون الله وتوفيقه من النصر للداعية المتقي الصابر العامل بما أمره ربه، ومن ذلك الأخذ بجميع الأسباب المشروعة الدينية والدنيوية.

الوسيلة الثامنة: ذكر الله، والدعاء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الأنفال: ٤٥.

المعنى الإجمالي : جاء الأمر بذكر الله كثيرًا عند ملاقاة الأعداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٤٥، فأمر بالثبات وأمر بما يعين عليه وهو الذكر، فإن ذكر الله يعين على الثبات في الشدائد، ويمنح الطمأنينة والسكينة حيث يشعر المقاتل بأنه لا يقاتل وحده، بل الله معه، فيثبت القلب على اليقين ويثبت اللسان على الذكر، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. (١).

قال قتادة: افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون؛ عند الضراب بالسيوف (٢).

وعن كعب الأحبار قال: ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر، ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال، ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٤٥. (٣).

وقال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ سورة آل عمران،

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٢٣/٨.

(٢) الطبري، مرجع سابق، ٢٦٠/٦.

(٣) ابن كثير، مرجع سابق، ٤١٧/٢.

الآية: ٤١.، ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٤٥.، [١]

ولهذا ينبغي على العبد ألا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى، وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل إليه بكليته، فارغ البال، واثقًا بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال.[٢]

وأما الدعاء فإنه من أهم عوامل النصر فهو الحبل الممدود بين الله ﷻ وعباده، فهو منهج إلهي ومنهج نبوي، ولهذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو ويستغيث ربه – تبارك وتعالى – في معاركه؛ فينصره ويمده بجنوده، ومن ذلك ما ثبت من حديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: "نظر نبي الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله – صلى الله عليه وسلم – القبلة، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رادءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: "يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، إنه سينجز لك ما وعدك!! فأنزل الله: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}سورة الأنفال:٩ " [٣]، فأمده الله بالملائكة، وهكذا كان – صلى الله عليه وسلم – يدعو الله في جميع معاركه، فعن عبد الله بن أبي أوفى – رضي الله عنهما – يقول: دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الأحزاب على المشركين فقال: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم

---

(١) القرطبي، (المرجع السابق)، ٨٢/٤.

(٢) أبو السعود، مرجع سابق، ٢٥/٤.

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٠٨١) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه من حديث عمر إلا من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل وأبو زميل اسمه سماك الحنفي وإنما كان هذا يوم بدر؛ وأحمد في المسند برقم (٢٠٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن رجاله رجال الصحيح؛ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٣٠٨١)؛ وقال الشيخ مقبل الوادعي: رجاله رجال الصحيح انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول ص٦١.

وزلزلهم" [١]، وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا غزا قال: ((اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل" [٢]، وعن أبي بردة بن عبد الله – رضي الله عنه – أن أباه حدثه: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا خاف قومًا قال: ((اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم" [٣]، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: " {حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ٤٥، قالها إبراهيم – عليه السلام – حين ألقي في النار، وقالها محمد – صلى الله عليه وسلم – حين قالوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}سورة الأنفال:١٧٣، [٤]، وهكذا ينبغي أن يكون المجاهدون في سبيل الله – تبارك وتعالى – لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم، ولهذا روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – كما في حديث أبي عثمان النهدي عن سلمان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد العمر إلا البر." [٥]

وجاء في المنتظم في أخبار الملوك والأمم لابن الجوزي ١١٥/١٢ عن حماد بن سلمة قال : ما أتينا إبراهيم التيمي في ساعة يطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعًا، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصليًا، وإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئًا، أو عائدًا مريضًا، أو مشيعًا جنازة، أو قاعدًا في المسجد، فكنا نرى أنه لا يحسن أن يعصي الله عز وجل، سأل عنه قائد المعركة قائد الجيش، وهي جيوش كالجبال، أين هو؟ فقيل:

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٧٥)، ورقم (٢٨٦١) ورقم (٣٨٨٩)؛ ومسلم برقم (١٧٤٢).

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٦٣٢)؛ وأحمد في المسند برقم (٢٣٩٧٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم؛ وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٢٩١)؛ وفي السلسلة الصحيحة برقم (٢٤٥٩).

(٣) رواه أبو داود برقم (١٥٣٧)؛ وأحمد في المسند برقم (١٩٧٣٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن؛ وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (١٣٦٠).

(٤) رواه البخاري برقم (٤٢٨٧).

(٥) رواه الترمذي برقم (٢١٣٩)؛ والبزار في مسنده برقم (٢٥٤٠)؛ وقال الألباني: حسن لغيره في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٣٩)؛ وحسنه في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٤)، وفي صحيح الجامع برقم (٧٦٨٧)؛ وفي صحيح الترمذي برقم (٢١٣٩).

ها هو على ميمنة الجيش يُبصبص بأصبعه، يحركها -يعني يدعو بها، فقال: والله إن هذه الأصبع لتعدل عندي ألف فارس، [1] رجل دعوته تستجاب، من صالحي الأمة وخيارهم وأتقيائهم.

وخلاصة الأمر : أن الاستعانة بذكر الله ودعائه والتضرع له من أقوي أسباب النصر والتمكين، فهو تعالى مجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وقد بين في القرآن في غير موضوع قيمة الدعاء وأثره في جلب الخير ودفع الشر .

الوسيلة التاسعة: عدم التنازع والاختلاف.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنفال الآية ٤٦.

توحيد صف المسلمين، وجمع كلمتهم لإعلاء كلمة الله تعالى من أجلّ مقاصد الإسلام، فقد أمر الله بالجماعة ونهى عن الفُرقة بقوله : ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ [2]. وإن الله لَيرضى من عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان [3] :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ سورة الصف، الآية: ٤، صافين أنفسهم، أو مصفوفين. مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيانًا رُصّ بعضه إلى بعض، ورصف حتى صار شيئًا واحدًا [4]،

قال الفراء: مرصوص بالرصاص. قال المبرد: هو مأخوذ من رصصت البناء: إذا لايمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة، وقيل: هو من الرصيص وهو ضم الأشياء بعضها إلى بعض، والتراص: التلاصق [5]وهذا الصف الظاهري ينبئ عن وحدة وتماسك داخلي.

وقد جعل الله اتفاق الكلمة وعدم التنازع من أسباب النصر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ

(١) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٢/ ١١)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٤).
(٢) ابن كثير، (المرجع السابق)، ٤٥٨/٤.
(٣)
(٤) أبو السعود، مرجع سابق، ٢٤٣/٨.
(٥) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٣٠٨/٥.

وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٤٥-٤٦.

خلاصة الأمر: إن تفرق الكلمة سبب للفشل وذهاب القوة والهيبة من نفوس الأعداء {وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]

وما أحوجنا اليوم إلى جمع الكلمة ورص الصفوف، واستثمار كافة الطاقات، ونبذ كل فرقة بنيت على خلاف اجتهادي، أو على خلاف مذهبي لا يخرج عن ملة الإسلام لدفع عدد أكبر يريد إهلاك الحرث والنسل، ما أحوجنا إلى التآلف والتواد والألفة والمحبة فيما بيننا.

الوسيلة العاشرة: **عدم البطر والكبر والرياء**.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ سورة الأنفال الآية ٤٧.

مما لا شك فيه أن العجب والاغترار بالنفس والقوة والعدة والعتاد من أسباب وقوع الهزيمة وحلولها بمن هذا حاله، وقد حكي الله تعالي لنا في التوبة فقال -: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ}التوبة: ٢٥، فالنصر ليس بكثرة العدة والعتاد فقد قال الله – تبارك وتعالى -: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة ٢٤٩]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره: "ذكر – تعالى – للمؤمنين فضله عليهم، وإحسانه لديهم؛ في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله – صلى الله عليه وسلم -، وأن ذلك من عنده – تعالى -، وبتأييده وتقديره، لا بعَددهم ولا بعُددهم، ونبههم على أن النصر من عنده سواء قلَّ الجمع أو كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئًا، فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه. (١)

(١) تفسير بن كثير مصدر سابق.

وقال العلامة ابن سعدي [1] – رحمه الله –: "يمتن – تعالى – على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء، حتى في يوم حنين الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها، وذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما فتح مكة سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم – صلى الله عليه وسلم – في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا اثني عشر ألفًا، والمشركون أربعة آلاف، فأُعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة؛ فلما التقوا هم وهوازن حملوا على المسلمين حملة واحدة فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا نحو مئة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي – صلى الله عليه وسلم –، يركض بغلته نحو المشركين ويقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب". [2]

ولما رأى من المسلمين ما رأى أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم : يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة؛ فلما سمعوا صوته عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم. [3]

وخلاصة الأمر: فإنه يجب اجتناب العجب والاغترار بالنفس والقوة والعدة والعتاد لأن ذلك قد يكون سببا في وقوع الهزيمة .

---

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي من نواصر بني تميم، ولد في مدينة عنيزة، في الثاني عشر من شهر محرم سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م، لقد تلقى العلم عن عدد كبير من العلماء الذين شُهد لهم بالعلم والفضل، ترك واحدًا من أعظم مؤلفاته "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، توفاه الله يوم الخميس ٢٣ سنة ١٣٧٥هـ عن ٧٩ سنة.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٧١٩)، ورقم (٢٧٧٢)، ورقم (٤٠٦٣)؛ ومسلم برقم (١٧٧٦)، ورقم (١٧٧٦).

(٣) تفسير السعدي (٣٣٢/١).

الوسيلة الحادية عشرة: عدم الخيانة.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ سورة الأنفال الآية ٥٨.

لقد رسم القرآن الكريم للبشرية منهاجا لو اتبعته وسارت به لعزت في الدنيا ونجت في الآخرة، ويتمثل ذلك المنهاج في مبدأ الوفاء الذي نال عناية واهتماما من الشرع الحكيم فتوالت وصايا القرآن الكريم مشددة على الوفاء بالعهد والبعد عن خيانته، فقال تعالى: خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.، الإسراء: ٣٤.

وحذرهم من نقضه والانقلاب عليه، ونبههم إلى أن هذا العهد عهد مع الله، وأن الله كفيل عليهم فقال تعالى: خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.، النحل: ٩١.

فقد وردت المفردة في القرآن الكريم، في العديد من الآيات والتي تحذِّرنا من صِفة الخيانة، ومن الميل إلى الخائنين أو الركون إليهم، أو الدِّفاع عنهم؛

فقد جاء النهي عن خيانة الله والرسول في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

كما أرشد الله تعالي الرسول إلي كيفية التصرف مع الخائنين فقال : : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وتضافرت العديد من الآيات القرآنية على ذم الخيانة والتشهير بفاعليها الأمر الذي يؤدي إلى تنشئة مجتمع نظيفٍ خال من هذه الآفَة؛ بل تسد كلَّ الأبواب الموصلة إليها، ولم يرخِّص الله تعالى استعمالَها حتى مع أعداء الإسلام.

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "آيَة المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّث كذب، وإذا وعَد أخلَف، وإذا اؤتمن خان" (١) وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الجوع، فإنّه بِئْس الضّجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنّها بئست البِطَانَة" (٢)

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١/ ١٦)، رقم: (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (١/ ٧٨)، رقم: (٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، برقم ١٥٤٧، والنسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجوع، برقم ٥٤٨٣، وفي السنن الكبرى، ٤/ ٤٥٢، برقم ٧٨٥١، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع، برقم ٣٣٥٤،=

إنَّ التاريخ حافل بنماذج الخيانة والخائنين على مرِّ العصور، وجسَد الأمَّة الإسلاميَّة بصِفة خاصَّة ليس به موضع إصبع إلَّا وتجد تحته أثرًا لخيانات متعدِّدة، تارة من أعدائها، وتارات – وهو أنكى وأشد ألمًا – من بني جلدتها ؛ وذلك لأنَّ أعداء هذه الأمة عندما يَيئسون من القضاء عليها في مَجال من المجالات يَقومون بزراعة ورَم سرَطاني خبيث، ينهك هذا الجسَد ويودِي به؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم سَمَّته يهود، وعمر الفاروق رضي الله عنه قتلَه أبو لؤلؤة المجوسي، وعثمان قتلَتْه يدُ الغدر، وفي بئر معونة قُتِلَ سبعون من خيار الصحابة... إلخ.

إنَّ الخيانة موجودة في كلِّ الأمم في وقت السلم، وتشتدُّ في الحرب، ولم يَسلم منهم زمان دون زَمان، ولا مكان دون مكان، بل لم يَسلم منهم أفضَل زمان بوجود أفضل رجل ورجال، زمَن النبي وصحابته الكرام، فكيف بمن بعده؟

يقولَ الإمام الذهبي رحمه الله: "الخيانة قَبيحة في كلِّ شيء، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس مَن خانك في فَلْس كمَن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم". (١)

فالخيانة لها أشكال متعدِّدة، نذكرها دون الخوض في التفاصيل:

١- خيانة الله ورسولِه من خلال: تعدِّي الحدود، وتعطيلِ الفرائض، وانتهاك الحرمات.

٢- خيانة الوطن عن طريق: موالاة أعداء الله تعالى ومداهنتهم، والميل والركون إليهم.

٣- خيانة الأعراض، وإفشاء الأسرار الزوجية.

٤- الخيانة في البيع والشراء والكسب غير المشروع، بأيِّ وسيلة كانت.

٥- خيانة المجالس وإفشاء أسرارها.

٦- خيانة العلم؛ بأن يُحرِّف العلماء كلامَ الله تعالى، أو يقولوا ما لا يعلمون، أو بكتمان ما أنزل الله تعالى.

٧- خيانة الودائع؛ بعدم ردِّها، أو بإتلافها، أو بالمماطلة في أدائها.

٨ـ خيانة تضييع الأهل؛ بإهمالهم، وعدم تعهدهم بالتربية والنصح والإرشاد.

=وابن حبان،٣٠٤/3، والحاكم، ١/ ٥٣٤، وأبو يعلى، ١١/ ٢٩٧، وعبد الرزاق، ٤٤٠/١٠، وابن أبي شيبة، ١٠/ ١٨٧، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٩١، وصحيح ابن ماجه،٢ / ٢٣٨، وصحيح النسائي، ١١١٢/٣.

(١) الكبائر، (ص ١٤٩).

خلاصة الأمر: إنَّ الخيانة موجودة في كلِّ الأمم في وقت السلم، وتشتدُّ في الحرب، ولم يَسلم منهم زمان دون زَمان، ولا مكان دون مكان، بل لم يَسلم منهم أفضَل زمان بوجود أفضل رجل ورجال، زمَن النبي وصحابته الكرام، فكيف بمن بعده، كأبي رغال وعبد الله بن أُبيّ بن سلول والمرجِفين في غزوة تبوك، وعبد الله بن سبأ اليهودي، وابن العلقمي وغيرهم الكثير. لذا فإنَّ أبواب الخيانة مُتعددة، ومداخلها مُتشعبة، وعلى كلِّ عاقل أن يحترز لنفسه حتى لا يوردِها المهالك، والخيانة لا تتجزَّأ؛ فهي صفة مَذمومة ومشؤومة بكلِّ المقاييس والأحوال، ولكن تخفُّ حدَّتها حسب ما هو مترتب عليها.

الوسيلة الثانية عشرة: اعداد العدة بقدر الاستطاعة.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٠.

أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب، وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين؛ من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل[١]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٦٠.؛ فهو يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها[٢]؛ من كل ما يتقوى به في الحرب كائنًا ما كان[٣]، إلى أقصى حدود الطاقة، بحيث لا يقعد المسلمون عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتهم[٤]، والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى، وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها[٥]، كما ورد تفسير القوة بالرمي في قول النبي ﷺ وهو على المنبر: ((ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي))[٦]، ولعل تخصيصه إياه بالذكر لإنافته على نظائره من القوى[٧].

---

(١) الطبري، مرجع سابق، ٦/٢٧٤.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣/١٥٤٣.
(٣) أبو السعود، مرجع سابق، ٤/٣٢.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، (المرجع السابق)، ٣/١٥٤٤.
(٥) أبو السعود، مرجع سابق، ٤/٣٢.
(٦) صحيح مسلم، باب معرفة الركعتين اللتين كان، ٣/١٥٢٢، رقم الحديث (١٩١٧). وأبوداود (٢٥١٤) ٢/١٦. والترمذي (٣٠٨٣) ٥/٢٧٠. وابن ماجه (٢٨١٣) ٢/ ٩٤٠. والدارمي (٢٤٠٤) ٢/٢٦٩.
(٧) أبو السعود، (المرجع السابق)، ٤/٣٢.

والغرض من إعداد القوة هو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء المسلمين في الأرض؛ الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، ومَن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة. وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم، وأن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الاعتداء على المسلمين، أو الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية (١).

فالمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ماديًا ومعنويًا سياسيًا وإعلاميًا واقتصاديًا وعسكريًا بالأسلحة المتطورة والجنود الأكفاء، ليرهبوا أعداء الله وأعداءهم، ولتكون كلمة اللّه هي العليا. هذه بعض أسباب النصر التي من خلالها تعود الأمةُ لسيادتها وعزها ومجدها. وسأُبين وأُوضح ذلك بشيء من التفصيل خلال البحث.

الوسيلة الثالثة عشرة: التوكل على الله والأخذ بالأسباب

التوكل على الله – تبارك وتعالى – مع إعداد القوة من أعظم عوامل النصر، وذلك لقوله – تبارك وتعالى –: {إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}١٦، وقال – سبحانه –: {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ}١٧ .

قال القرطبي – رحمه الله – في تفسير الآية :

" أي عليه توكلوا فإنه إن يعنكم ويمنعكم من عدوكم لن تغلبوا {وَإِن يَخْذُلْكُمْ} يترككم من معونته١٨" . وقال العلامة ابن سعدي – رحمه الله –:

" أي: إن يمددكم الله بنصره ومعونته {فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ} فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعدد، لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد، وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه، {وَإِن يَخْذُلْكُمْ} ويكلكم إلى أنفسكم {فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ}، فلا بد أن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق١٩"، وقال – تعالى –: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}٢٠، وقال – سبحانه –: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (المرجع السابق)، ١٥٤٣/٣.

وكِيلًا}٢١، وقال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا}٢٢، وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله؛ لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصًا، وتروح بطانًا))[1]، ولا بد مع التوكل من الأخذ بالأسباب، لأن التوكل يقوم على ركنين عظيمين:

١– الاعتماد على الله – تبارك وتعالى –، والثقة بوعده ونصره – تعالى –، فما خاب من توكل عليه.

٢– الأخذ بالأسباب المشروعة.

وإذا لم توجد الأسباب فهو توكل كاذب بل هو تواكل، ولهذا قال الله – تبارك وتعالى – حاثًا على العمل بالأسباب: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}٢٤، وعن أنس – رضي الله عنه –: "أن رجلًا قال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: ((اعقلها وتوكل))[2].

ولذلك المتأمل في قول الله سبحانه وتعالى –: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٥٩ – ٦٠] .يجد أن في الآية الأولى توهينا بشأن المشركين مهما بلغت قوتهم وإعداداتهم وإمكانياتهم، لكن الله أعقبها بقوله:

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٤٤)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه؛ ورواه ابن ماجة برقم (٤١٦٤)؛ وأحمد في المسند برقم (٢٠٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي ورجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هبيرة فمن رجال مسلم، ورقم (٣٧٠)، ورقم (٣٧٣)؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم (٤١٥٤)؛ وفي السلسلة الصحيحة برقم (٣١٠).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٥١٧)؛ وصححه ابن حبان في صحيح ابن حبان برقم (٧٣١)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن؛ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٥١٧)؛ وفي تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيفية علاجها برقم (٢٢).

{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} . حتى لا يظن ظان من المسلمين أن الكفار صاروا في قبضتهم من غير عمل ولا أخذ بالأسباب، بل لا بد من ذلك، ويكون هذا العمل وهذا الاحتراس هو سبب جعل الله الكافرين لا يُعجزون (١).

وجاء في لفظ الآية «ما استطعتم » ليشمل كل إعداد مقدور عليه ويلزم منه استفراغ الجهد والطاقة سواء كان جهدًا بدنيًا أو عقليًا أو غيره في سبيل الإعداد.

كما جاء في لفظ الآية «من قوة» فهي نكرة في سياق الإثبات، فتقيد العموم لتشمل كل قوة نافعة في الجهاد في سبيل الله وإرهاب أعدائه. ومن ذلك القوة العسكرية بكل صورها المعاصرة، والقوة السياسية، وقوة الرأي (٢)، والقوة الإعلامية، والتعليمية، والاقتصادية، والتقنية، وغيرها.

وفي الآية إشارة ــ والله أعلم ــ إلى أن المكانة بين الدول، وهيبة الجانب، واعتبار الرأي في المؤتمرات الدولية؛ لا يكون إلا إذا استندت الدولة الإسلامية إلى القوة في بنائها بكل صورها السابقة كما يفيد ترتيب الآية: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ} وتفسير النبي – صلى الله عليه وسلم– للقوة بأنها الرمي ثلاثًا كما رواه مسلم (٣) معناه: (أكمل أفراد القوة آلة الرمي في ذلك العصر، وليس المراد حصر القوة في آلة الرمي) (٤) .

ولما كان هذا الإعداد للقوة يستلزم بذل الجهد والوقت والمال، وبذل المجهودات البدنية والعقلية والنفسية وغيرها، وكانت النفوس بطبعها شحيحة مؤثرة لهواها ومصالحها الشخصية ذكّرهم الله بقوله في آخر الآية: {ومَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ} فكل شيء محفوظ وإن صغر ودق، وقوله (شيء) نكرة في سياق الإثبات فتفيد العموم لتشمل كل شيء مالًا كان أو وقتًا أو علمًا.. صغيرًا كان أو كبيرًا. نسأل الله أن يجعلنا من أنصار دينه.

ومع بذل المسلم لهذه الأسباب يجب أن يتعلق قلبه بالله تعالى؛ فالأمور بيده يصرّفها كيف يشاء {وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ١٠]. {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠].

إن الاسباب مهما بلغت مكانتها تبقى في دائرة الأسباب فلا يتعلق القلب بها، بل

يتعلق بالله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض، ولقد أكد الله على هذه الحقيقة عند ذكره لإمداد المسلمين في غزوة بدر بالملائكة: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إلاّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٩ – ١٠]. فالملائكة ما هم إلا سبب، ويجب ألا تتعلق القلوب بهم، بل تتعلق بالناصر الحقيقي وهو الله تعالى. ولعل هذا من حكم مشروعية ذكر الله عند ملاقاة العدو: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

ولما ركن المسلمون إلى بعض الأسباب المادية في غزوة حنين فأعجبوا بكثرتهم خذلهم الله، فلم تغن عنهم كثرتهم شيئًا، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ولوا مدبرين حتى تداركهم الله برحمة منه {ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [التوبة: ٢٦].

الوسيلة الرابعة عشرة: الانفاق في سبيل الله.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٠. (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما أنفقتم، أيها المؤمنون، من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كُرَاع أو غير ذلك من النفقات، (٥٣) في جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدَّخر لكم أجوركم على ذلك عنده، حتى يوفِّيكموها يوم القيامة (٥٤) (وأنتم لا تظلمون)، يقول: يفعل ذلك بكم ربكم، فلا يضيع أجوركم عليه. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)، أي لا يضيع لكم عند الله أجرُه في الآخرة، وعاجل خَلَفه في الدنيا. (١)

تفسير الفخر الرازي ﴿وما تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ في سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهو عامٌّ في الجِهادِ وفي سائرِ وُجُوهِ الخَيْراتِ ﴿يُوَفَّ إلَيْكُمْ﴾ قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: يُوَفَّ لَكم أجْرُهُ، أيْ لا يَضِيعُ في الآخِرَةِ أجْرُهُ، ويُعَجِّلُ اللَّهُ عِوَضَهُ في الدُّنْيا ﴿وأنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ أيْ لا تُنْقَصُونَ مِنَ

(١) الأثر: ١٦٢٤٤ – سيرة ابن هشام ٢: ٣٢٩، ٣٣٠، وهو تابع الأثر السالف رقم: ١٦٢١٨.

الثَّواب، ولَمّا ذَكَرَ ابْنُ عَبّاسٍ هَذا التَّفْسِيرَ تَلا قَوْلَهُ تَعالى: ﴿آتَتْ أُكُلَها ولَمْ تَظْلِمْ مِنهُ شَيْئًا﴾ [الكَهْفِ: ٣٣].

فالإنفاق في سبيل الله وإن كان من وجوه البر في حالة السلم فإنه آكد في حالة الحرب وقتال الأعداء ؛ لأنه مما يعين علي الجهاد ودحر الأعداء عن طريق إكمال الإعداد والجاهزية التي تتأتى من خلال إنفاق المال علي الحرب وآلاتها .

الوسيلة الخامسة عشرة: تحريض المؤمنين على القتال.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٥.

إن إعداد الفئة المحاربة وتجهيزها بالأمور المادية والمعنوية علي حد سواء في استكمال وسائل الوقاية من الهزيمة، ويدخل في الإعداد المعنوي رفع الروح المعنوية لدي الجنود واستنهاض هممهم، وتذكيرهم بما يعد لهم من وجوه الإكرام في حالة الفوز في المعركة، وما يلقونه من التكريم بالشهادة في حالة الهزيمة، فهم في الحالين من الفائزين .

الوسيلة السادسة عشرة: نيّة الخير والإخلاص لله تعالى.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة الأنفال الآية ٧٠.

الإخلاص لله تعالى مطلب عام في سائر الطاعات، قال الله سبحانه وتعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) سورة البينة، الآية: ٥، أي خالصًا لوجه الله تعالى كالجهاد في سبيل الله ينبغي ألا يكون إلا في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، فعن أبي أمامة الباهلي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله: لا شيء له)). فأعادها ثلاث مرات. يقول له رسول الله لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغي به وجهه. (١).

(١) أخرجه النسائي في السنن (٣١٤٠) ٢٥/٦. وإسناده جيد كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٨/٦.

وقد تكفل الله تعالى أن ينصر جنده، الذين صحت نسبتهم إليه بإخلاصهم في جهادهم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ سورة الصافات، من الآية: ١٣١-١٣٧، والمراد بجند الله حزبه، وهم الرسل وأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ سورة غافر، الآية: ٧١.

الخاتمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ،،،

فإن أولى من يُشكر، وأحق أن يُحمد، وأجدر أن يُعتَرَف له بالفضل والجميل والمنة إنما هو المولى سبحانه الذي وفقني لاختيار هذا البحث الذي طوفت فيه في سورة الأنفال بغية الكشف من خلاله عن سبل ووسائل الوقاية من الوقوع في الهزائم كما صورتها السورة الكريمة .

وقد توصَّلت من خلال هذه الرحلة المباركة إلي عدد من النتائج أجملها في التالي:

أولا : سورة الأنفال من السور القرآنية التي لم يرد في تسميتها اسم توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم، غير الأنفال، كما لم يرد في فضلها حديث صحيح خاص بها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : سورة الأنفال من السور المدنية وقد نزلت في غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة

ثالثا : الموضوع الرئيس لسورة الأنفال هو مشروعية الجهاد، وعنه تفرعت موضوعات أخري من أهمها : الحديث عن غزوة بدر وأحداثها، وأسباب النصر والهزيمة، وعلاقة المسلمين ببعضهم وبغيرهم سلما وحربا .

رابعا : الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، وما يترتب عليه من غلبة أحدهما علي الآخر قديد قدم الحياة الإنسانية ولن يتوقف إلي قيام الساعة، ولكل أنصاره ومؤيدوه .

خامسا : النصر والهزيمة يخضعان لقانون وسنة إلهية، فالنصر ليس أمرًا ارتجاليا يمكن الحصول عليه بالاندفاع العاطفي والتمني، كما أنه أيضًا ليس قضية عشوائية يمكن أن تأتي دون حسابات، وأن أي تصور عن تحقيق النصر خارج نطاق التصور الإيماني هو مجرد لهو وهراء ولغو لا قيمة له.

سادسا : تعددت الوسائل والسبل الواقية من الوقوع في الهزائم كما صورتها سورة الأنفال ويأتي في مقدمتها الوسائل التالية :

١ ــ الالتجاء إلي الله والتوكل عليه والتضرع له بالدعاء والذكر .

٢ ــ التذرع بالصبر، ونبذ الفرقة والاختلاف، والتعاون، والإخلاص لله .

٣ــ الأخذ بالأسباب الدنيوية المؤهلة للظفر والنصر بما فيها الإعداد التام للحروب والمعارك والتهيؤ والاستعداد لها من جميع الوجوه، فدور الإنسان في تحقيق النصر يمثل ركنًا أساسيًا لا يمكن إهماله أو التغافل عنه .

سابعا : وعد الله المؤمنين بالنصرعلي أعدائهم وعد لا يتخلف، وقد بشرت آيات الكتاب العزيز بهذه الحقيقة وأكدتها في غير موضع من السور والآيات القرآنية .

هذا .... وقد أسفر البحث عن عدة توصيات من أهمها :

أولا :أهمية تبني مفاهيم القرآن ومصطلحاته ومنهجياته في التعامل مع الأشياء فالقرآن منهاج حياة، ودستور بشرية، طبقته أجيال فسعدت وسادت، وتخلى عنه آخرون فكان من حالهم ما لا يخفى على ذي عينين.

ثانيا : ضرورة التدبر في آيات الذكر الحكيم لاستخراج المناهج التي تعود على الأمة بالنفع والخير ومن ذلك استلهام العبر والدروس من الآيات القرآنية .

ثالثا : التوسع في نشر البحوث والدراسات القرآنية من خلال المنصات الإعلامية المختلفة من خلال القنوات الفضائية، ومن خلال قنوات التواصل الاجتماعي، ومن خلال الشبكة العنكبوتية بغية استقطاب الشباب المسلم إلى ما يفيده في دينه ودنياه .

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ــ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٢. أدب الحرب والسلم في سورة الأنفال، د. احمد جمال العمري دار المعارف، ط١، ١٩٨٩، ص ٣٢٠.

٣. أساس البلاغة للزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٤. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

٥. الأعلام لخير الدين الزركلي ط / دار العلم بيروت ــ الرابعة ١٩٨٦م

٦. البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ــــــ الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .

٧. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت- دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

٨. البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، (ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ط / المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٨٤م .

١٠. البيان في عد آي القرآن،، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى، الكويت: مركز المخطوطات والتراث: ١٤٠٨ ه/ ١٩٨٨ م

١١. تاج اللغة وصحاح العربية، لاسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ ه/ ١٩٨٧ م.
١٢. تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، الناشر: دار التراث – بيروت، ط٢ – ١٣٨٧ هـ.
١٣. التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).
١٤. التعريفات لعلى بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، (دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٥هـ، / ٩٠).
١٥. تفسير ابن سعدي تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٦. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكريم: لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
١٧. تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ
١٨. تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبي محمد الحسين ابن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر–عثمان جمعة ضميرية–سليمان مسلم الحرش(ط٤ دار طيبة ١٤١٧هـ).
١٩. تفسير البيضاوي)) أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
٢٠. تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث

العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢

٢١. تفسير الرازي مفاتيح الغيب: لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ط٣- بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠هـ).

٢٢. تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٢٣. تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب، أبي جعفر الطبري. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، دار هجر،١٤٢٢هـ).

٢٤. تفسير القاسمي ــ محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ــ الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٥. تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط١، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث

٢٦. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ــ تحقيق أحمد البردونى وإبراهيم أطفيش ــ دار الكتب المصرية الثانية ١٩٦٤ .

٢٧. تفسير سورة الأنفال ـــ د/ علي جريشة، دار الأرقم ط١، ١٩٩٢م

٢٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

٢٩. التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع لمحمد نسيب الرفاعي (المتوفى: ١٤١٣هـ) الناشر: دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م

٣٠. التولي يوم الزحف من الموبقات، علي الشبكة العنكبوتية

٣١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين

محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) لمحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٣٢. سلم الوصول إلى طبقات الفحول – حاجي خليفة. المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط ٢٠١٠م .

٣٣. سنن ابن ماجه ــ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

٣٤. سنن أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٣٥. سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت

٣٦. سنن الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) المحقق: نبيل هاشم الغمري الناشر: دار البشائر (بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م

٣٧. سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م

٣٨. السيرة النبوية، لابن هشام تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل، ١٤١١ ه، (٦٦٧/١).

٣٩. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٤٠. صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤١. غريب القرآن لابن قتيبة المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م

٤٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي .

٤٣. فتح القدير للشوكانى لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، (ط١،– دمشق، بيروت–دار الكلم الطيب ١٤١٤هـ)

٤٤. الفرائد الحسان في عد آي القرآن، ومعه شرح نفائس البيان، والقاضي، عبد الفتاح عبد الغني، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٤هـ .

٤٥. الفروسية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان الناشر: دار الأندلس – السعودية – حائل الطبعة: الأولى، ١٤١٤ – ١٩٩٣

٤٦. كتاب الأفعال لابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي (ت ٥١٥ ه)، عالم الكتب، ط ١،١٤٠٣ ه– ١٩٨٣ م، ٣/٣٥١.

٤٧. لسان العرب لابن منظور ــ ط / دار المعارف .

٤٨. مباحث في علوم القرآن د / مناع القطان ــ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـــ الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م .

٤٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

٥٠. المختصر في التفسير، مركز تفسير الراسات القرآنية، مكتبة روائع المعرفة، جدة.

٥١. مراصد المطالع في تناسب الآيات والمقاطع، جلال الدين السيوطي، تحقيق بازمول، جامعة أم القرى، ط١، ٢٠٠٢م، المكتبة المكية.

٥٢. المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م

٥٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

٥٤. مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى" المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض ـ الطبعة : الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .

٥٥. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ـــــ الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

٥٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ـ محمد فؤاد عبد الباقي ط / المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية .

٥٧. معجم مصطلحات الجغرافيا العسكرية والسياسية، العزيزي، هاني عبد الرحيم (مقدم باحث جغرافي تتقاعد)، مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٦ ه- ٢٠٠٥ م، ص ١٠٣

٥٨. معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق / عبد السلام هارون ط / دار الافكر ١٩٧٩م .

٥٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي ـ تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ، ٢/٧٤٣).

٦٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م

٦١. مناهل العرفان في علوم القرآن: للزرقاني : محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة

٦٢. المنجد في اللغة الحسن علي بن الحسن المشهور بكراع (ت ٣١٠ ه) تحقيق أحمد مختار، وضاحي عبد الباقي، ط ١٩٨٨،٢ م، عالم الكتب، القاهرة، ص ٣٥٥.

٦٣. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، للشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، ط٣، ١٩٩٧، ص٤٠٤.

٦٤. نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٦٥. الهادي إلى لغة العرب (قاموس عربي – غربي) حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، ط ١٤١٢،١ ه-) .٤١١/١٩٩٢،٤.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩٢
التمهيد : فقد عقدته للحديث عن تعريف بمصطلحات البحث.	٩٩
المبحث الأول: " سورة الأنفال " نبذة تعريفية ": وفيه ثلاثة مطالب :	١٠٥
المطلب الأول : اسم السورة وعدد آياتها، وفضلها.	١٠٥
المطلب الثاني: نوع السورة ومناسبتها لما قبلها، وتاريخ نزولها.	١٠٩
المطلب الثالث: محور السورة وأبرز محتوياتها.	١١٢
المبحث الثاني: وسائل الوقاية من الوقوع في الهزيمة في ضوء سورة الأنفال ، وفيه: ست عشرة وسيلة:	١١٤
الوسيلة الأولى : تقوى الله عز وجل والإيمان به عز وجل.	١١٤
الوسيلة الثانية: إصلاح ذات البين.	١١٦
الوسيلة الثالثة: طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.	١١٩
الوسيلة الرابعة: عدم التولي يوم الزحف.	١٢٢
الوسيلة الخامسة: اجتناب المعاصي.	١٢٤
الوسيلة السادسة: شكر الله تعالى.	١٢٥
الوسيلة السابعة: الثبات عند اللقاء والصبر.	١٢٦
الوسيلة الثامنة: ذكر الله كثيرًا، والدعاء.	١٢٨
الوسيلة التاسعة: عدم التنازع والاختلاف.	١٣١
الوسيلة العاشرة: عدم البطر والكبر والرياء.	١٣٢
الوسيلة الحادية عشرة: عدم الخيانة.	١٣٤
الوسيلة الثانية عشرة: إعداد العدة بقدر الاستطاعة.	١٣٦
الوسيلة الثالثة عشرة: التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب.	١٣٧
الوسيلة الرابعة عشرة: الإنفاق في سبيل الله تعالى.	١٤٠
الوسيلة الخامسة عشرة: تحريض المؤمنين على القتال.	١٤١
الوسيلة السادسة عشرة: نية الخير والإخلاص لله تعالى.	١٤١
الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث مشفوعة بأهم توصياته.	١٤٣
المصادر والمراجع	١٤٥
فهرس الموضوعات	١٥٢

❖